السنة الحادية عشرة   العدد ١٢ كانون الاول   سنة ١٩٠٨

المشرق

أثر عربي نفيس

نشره حضرة الاب انستاس الكرملي

توطئة

مما افادنا نشر القانون الدستوري الاخير ما بشّرت به جرائد الاستانة من فتح خزائن الكتب الخطيَّة التي كانت مصونة في جوامع دار السعادة لا يتمتع من كنوزها الّا بعض الافراد لصعوبة الوصول اليها. وهي امنيّة طالما تاق اليها الادباء. واخذت جمعية الاتحاد والترقي في تحقيقها فعلًا. فيا ليت كل هذه المكاتب المتفرّقة تُجمع في دار واسعة وتُنظَّم على مثال الدور الكتبيَّة في الحواضر الاوربيَّة وتصطنع لها القوائم المضبوطة وتُقام لها العُمَّال الامناء خدمة طلبة العلم فتزيد بذلك اسواق الآداب رواجاً وترقى البلاد في معارج المدنية والتقدُّم

ومما توفّق حضرة الاب انستاس الكرملي الى اكتشافهِ في سياحتهِ الاخيرة الى حاضرة السلطنة في اواخر تشرين الاول من السنة الجارية كتاب نفيس في الزهد هذا عنوانهُ: «كتاب العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال. لقطب أئمة اليقين وحجة محجة المؤمنين وعمدة الدين المكين وسيّد ائمة المتقدّمين والمتأخرين وسند المتمسكين والمتزهدين الورع التقي الناجي الآمن في الدنيا والدين ابي الخير فهر بن جابر المتكال بن عائذ بن جاهل بن فاتك بن عدي بن عمار الطائي رحمهُ الله وجعل الجنة مأواه واجزل ثوابهُ مولاه»

اما مؤلف الكتاب فقد بحثنا عنهُ في ما لدينا من التواريخ المطبوعة والمخطوطة فلم نجد له ذكرًا الّا انهُ يستفاد من حاشية للناسخ في آخر الكتاب انهُ «ولد في السنة الاولى من المنتصف الثاني من المائة الثانية من هجرة النبي صلعم في ارض الشراة» وانهُ «دخل بلادًا كثيرة من ديار الشام ولاسيما غزّة ولُدّ وعكّا وحيفا وجبل الكرمل والقدس الشريف والاردن وما جاورهُ» وانهُ اجتمع بالنصارى ورهبانهم «وكان يحسن اللغة الرومية حتى انهُ كان يتكلَّم بها كانهُ واحد من ابنائها وكان ايضاً قد تعلَّم شيئاً من اللغة الجرمقانيَّة. . . وكان جدُّهُ عائذٌ نصرانيًا ثم اسلم تقرُّبًا من الامويين. ولما دخل في السنة الخمسين من عمرهِ اعتزل الناس في جوار دمشق الفيحاء وبعد ان كتب هذا السفر الجليل بيدهِ الكريمة اهداهُ الى الجامع الاموي تبرُّكاً

وتفاؤلاً وتودّاه الله في خلوته في السنة الاخيرة من الربع الاول من المائة الثالثة من الهجرة النبوية وعمره خمس وسبعون سنة »

واسم ناسخ الكتاب الذي اتانا بهذه الفوائد « عبد الله بن احمد بن محمد بن حامد بن جواد ابن معط النعماني » ذكر انه نسخ الكتاب في السنة العاشرة لوفاة المؤلف

والكتاب عبارة عن ٢٥٠ صفحة في كل صفحة ٢٣ سطرًا دقيقًا ل . ش

وهذه فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو وحده الهادي الحكيم العليم

(١) الحمد لله الذي جعل الحقّ علماً يهتدي به كلّ سالك ساهر . من هادٍ ومهديّ ومستهدٍ . واقام الزهد غرضاً يؤمّه كل ناجٍ حاضر . بل كل بادٍ ومتبدّ ومستبدٍ . الذي يهدي بنوره من يشاء . ويُضلّ من يشاء . وما يهدي ربّك الّا بذلك النور الذي لا يعرف شروقاً ولا غروباً ولا صباحاً ولا عشاء . فسبحانه من إله ينجّي المؤمنين بما ينفثهُ في بواطن الصدور . ويهلك الضالّين بما يمسكهُ عليهم من فيض حوض آلائهِ الشكور . نحمدهُ حمدًا لا يعرف الملل . ولا يناله الكلل . على ما آتى نبيّنا صلعم من المنّ العظيم . والفضل العميم . اذ جعله خاتم الانبياء . واتمّ الاولياء . وانطقهُ بالكلم الجوامع اللوامع . والحجج الصواقع القوامع

ويلي هذه الفاتحة كلام جميل للمؤلف يذكر فيه ما صار اليه اهل عصره من الآراء والبدع والتفرّق والتمزّق فيبحث لنا اعتلّ من الاجسام عمّا يشفي ما بها من الادواء والاسقام توجد ان تلك العلل

« ترجع في المآب . الى حبّ الدنيا وما يتلألأ فيها من الآل والسراب . والطمع في جمع حطامها . بل عظامها ورغامها . والتفاخر بما فيها من الجواذب الكواذب . والخوادع القواذع . ويثبت ان احسن دواء . لهذا الداء العياء . ان يحاربَ العدوَّ بعدوّهِ . محاربةَ عشاء النهار لعُدُوّهِ . وان هذا الدواء هو الزهد في الدنيا . واعتبار كل ما فيها في دركات الوجود الدنيا . فيكون في احتقارهِ الفوز والحياة والنجاة . وفي اعتبارهِ

الرمز والمِلات والهولة. ولهذا سمّيت كتابي كتاب العروج في درج الكمال. والخروج من دركِ الضـلال. واظنّ ان الاسم يطابق المسمّى. ومن يطلع على كتابي باسره لا يرى ألّا الحقّ ولا يعثر فيه على شيء من المينّ

« وهذا الزهد واجب الإدخال. في مثل هذه الاحوال. وبدونهِ لا يتمّ شيءٌ. بل يزداد الغيّ. كيف لا وقد وقع مثل هذا الواقع الجليل. في عهد قوم اسرئيل. ومثلهُ في اوّل الايام. من عهد عيسى عليـهِ السلام. فأُصلِح هذا الفتق. او هذا الشق. بهذا الرَّتق. او على هذا الوجه من الحقّ »

الى ان قال في خاتمة مقدّمتهِ:

كتبتُ هذا السِفْر وقسمتهُ الى ستِّ قلاع. وبَنَيْتُ في كل قلعةٍ اربعة أبراجٍ مناع. وبيّنتُ ما تحصّن في كل قلعـةٍ من الضلال. وما يجب ان يُذكر في كلِّ برجٍ من ابراجهِ ابواج القتـال. لنسف ما جاورهُ من تلك المصانع بل تلك الجبال. القائمة كلها على جرف الفناء والزوال. ثم ختمتُ كل هذه الابواب. بذيلٍ هو خاتمة الكتاب. بل لُبّ اللُباب. وذكرتُ فيه تاريخ الزُهد في سابق الاحقاب. تأييدًا لما اوردتهُ في تلافيف تأليفي. واثباتًا لِما سردتهُ في تضاعيف تصنيفي. وكلـهُ طبقًا لِما شاهدتهُ مشاهدة عيـان. او سمعتهُ سماع الآذان. او اكتسبتهُ اكتسابًا من بعض الرهبـان. او تلقيتهُ تلقيًا عن اهل التُقى والايمان. وكفى لي بهذا البيان شاهـدًا على ما في النيّة والجنان. فاقول وما اتكالي ألّا عليهِ وهو الرحيم الرحمان. . .

وهذا هو الذيل الذي اشار اليهِ المؤلف في كتابهِ وهو جدير بأن يُرقم كلهُ باحرف ذهبيّة

ذيل الكتاب. وهو خلاصة جميـع الأبواب

(الصفحة ٩٩٣) الموسومَ بلُبِّ اللباب

ان الزهد في الدنيا قديم العهـد بين الناس وهو ينشأ في كل آدمي عاقل حكيم بصير بموارد الامور ومصادرها ومصايرها. لان الحكيم المتوقّد الفؤاد اذا ما اعتبر أنّ كل ما في هذا الكون زائل او على وشك الزوال لا يعود قلبـهُ يعلق بهِ اذ لا بُدَّ لهُ من مفارقتهِ اياهُ فيبدأ من ذاك الحين ان يُخرج من قلبـهِ ما لا بُدَّ ان يخرج منهُ يومًا

عفوًا بدون اجرٍ او ثوابٍ. فيكسب بهذه المنقبة اعظم الفضل يوم الحساب. هذا اصل الزهد على ما اراهُ وهو اقرب الى الصواب

(240) واني لأتصور ان اوّل من زهد في الدنيا هابيــل القتيل. ثم ادريس النبي الجليل. ثم جاءت بعدهما طوائف لا تحصى من كل قبيل. فيهم الصلحاء والعبّاد. والنُسّاك والزُهّاد. في جميع بلاد الله من سهل ووادٍ وجبل. وفي جميع الاديان والفِرَق والملل. الّا ان الذي شاع ذكرهُ في الآفاق. وذاع امرهُ بين اهل الوفاق والشقاق. هو اوّل الأبدال. ومن يأتي من بعــدهِ على تتالي الاجيال. محتذيًا ذلك المثال. نبي الله العظيم. الخضر الياس الحيّ عليهِ الصلاة والسلام. والناس تلفظ اسمهُ كانهُ معرّف بأَل وتنبر الف القلب وتتوهم ان الموت اقرّ له باليأس من اخذ روحهِ فسُمّي «اليأس». ومنهم من يدعي ان «الياس» مقلوب «الآس» وهو نبــات لا يزال غضّ الخضرة وسُمّي هذا النبي صلعم باسمهِ لاخضرار عودِ حياتهِ. واعتــدال طول قناتهِ. بدون ان يفعل عليهِ البلى ادنى فعل. ومن العلماء الاثبة من يذهب الى ان اللفظة عابريّة الاصل لا يُعرف معناها على التحقيق (١. والله اعلم بالصواب

هــذا وكان الخضرُ اول من ذكرهُ التنزيل العزيز انهُ اعتزل الخلق واختلى. فصام وصلّى. وطوى ايامهُ قانتًا يعبــد ربهُ ومولاهُ. موحّدًا اياهُ. لا يعرف آخر سواهُ. فلمّا اشتهر امرهُ بين سكّان تلك الديار. اقبــل اليهِ جماعة من قوم اسرئيل يتلمذون له ويتلقّون عنهُ اصول الاعتكاف والاعتزال. واقامــة شعائر الدين المبين. حتى اصبح عددهم عديدًا. وامرهم مذكورًا. ولما ارتفع الخضر الى اعلى العنــان الى حيث لا يُدرى قام خلفًا لهُ البديل الثاني وهو اليسع (٢. ولامهُ ليست بلام العهدة على الارجح لا بل على الاصحّ. وانّما هي اصليّة عابريّة غير عابرة ولا غابرة. بخلاف ما ذهب اليهِ العوام
(241) من هذه اللام. اذ يعتبرونها زائدة زائلة وان اصل الاسم هو «يَسَع» ولما كان هذان النبيّان من اعظم الانبياء. ومقدّمي الأبدال الاجلّاء. نُحت لهما تمثالان من الحجارة ووُضعا في بيت الله وَضَعَهما لهما رهبان النصارى قبل الاسلام بكثير (٣. والذين اقاموهما

١) اللفظة مركّبة من كلمتين عبرانيّتين معناهما الله هو الله

٢) كذا يدعو العرب النبي اليشاع ٣) راجع ما كتبهُ الازرقيّ في تاريخهِ اخبار مكّة (ص ١١٠) عن وجود صور الانبياء والملائكة في الكعبة قبل الاسلام

لما كانوا من محبي الخضر وتباع اليسع وكانوا قد انتشروا في السابق في جزيرة العرب من جهة طور سينا والشراة الى مكّة شرفها الله

وما زال هؤلاء العباد مشهورين في بني اسرئيل متعاقبين متتالين حتى اتّصلوا بنا لعهدنا هذا او نحن اتّصلنا بهم وهم اليوم على دين عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام. والخلف ينقل من السلف كل ما كان من جوهر الدين ونشر هذا الصراط الصراط البين. والأبدال لا ينقطع وجودهم البتة من الارض لاحتياج اهلها اليهم وان كان اهلها يجهلون هذا الامر وذلك بتدبير منه تعالى وبتقدير حكمتهِ الواسعة على حدّ احتياج الارض للماء او الارض لنور السماء.

ولمّا كنتُ قد اختلفت الى اولئك الاقوام الصالحين المتألهين. مدةَ عدة سنين. وتفقدت ما في تلك الديار. من عجيب الآثار. وسمعتُ اشياء تفيد القارئ ولو كان من شرّ الاشرار. اذ توقفهُ على امور جمّة هي بمنزلة غرب الأسرار. احببتُ ان اورد هنا ما سمعتهُ منهم بلسانهم الردمي. وهو لسان العالم منهم والامي. وقد وُفّقت الى تلقُّفهِ بسرعةٍ لسهولتهِ وعذوبتهِ وسلاسة الناطق. ومنهم من يُحسن اللغة الجرمقانية. وهي اللغة المعروفة ايضاً باسم السوريانية. وهي من اول لغات الخلق (242) والبعض يسمونها اللغة الأرمانيّة

واذ قد افصحتُ عن مورد علمي. ومصدر فهمي اقول: روى لي احدهم قال: ان اصلنا يرتقي صُعُدًا الى الخضر عليهِ السلام وان اصل اقامتنا هو الوطن الذي اقام فيه مدةً طويلة امامنا الاعظم. نبيُّنا صلعم. المذكور بألسنة جميع الامم. يعني على جبل الكرمل في كهفٍ هناك يُزار. ومن تلك المغارة او من ذلك الجبل انتشرنا انتشار الجراد. في كل صقع ووادٍ. وفي كل ربع وناد. وذلك اننا لما كنّا ظعن بعض اجدادنا الاقدمين. متخيّرين الامكنة المجاورة للمياه العذبة او لمياه المعين. لاحتياجهم اليها في كل حين. ولذا ترانا مبثوثين بين العباد. بث الجراد. في جميع هذه البلاد. طولًا وعرضًا شرقًا وغربًا في كل سهل وجبل ووادٍ. ومن المواطن العزيزة علينا. والمكرّمة بيننا. موطن لم يغادرهُ اصحابنا البتة وهي مُوَيْهةٌ تعرف بعين الخضر تبضُّ الماء بضًّا واقعة في غربي الجبل الميمون والبعض يسمونها «عين الياس»

وقد شاهدت بنفسي مشاهدة عيان صوامع وعرازيل وكهوفًا على الجبل ونواحيه

بل وفي جميع الديار المجاورة له يسكنها كلها اقوام قُوّام وصلحاء صُوّام يشهد لهم بالقُربات والطاعات غير ان طائفة من هذه المساكن قد اخربها اعداؤهم وقوّضوها وهم نصارى ايضاً. بيد انهم يرجعون الى فرقة تناوئهم في كل امر وكأني سمعتهم(۱ يسمونهم الارارسة او الاريسة او الاريسية او اسماً آخر يكاد يكون لحد هذه الاسماء. والجانب الآخر دمّرهُ بعض جهلاء العرب او غزاة (243) اهل البادية من اهل العيث والعبث. الّا ان كثيراً منها لا يزال قائماً عامراً آهلاً بالزّهاد والعُبّاد. وهم اناس من افقر خلق الله لا يملكون شيئاً سوى ما عليهم من الثياب الأسمال الرثة. ودأبهم ذكر الله عزّ وجلّ. طاوين ايامهم في الصوم والطوى مواصلين الصلاة بالصلاة آناء الليل واطراف النهار. قوم هُجّد لا يهجعون يتناوبون تسابيح رب الكون وسيماؤهم على وجوههم يستثمرون المسوح بألوانها الاصلية ولا يصبغونها بشيء من الاصباغ الصناعية. واغلب ما يتخذون تلك المسوح من شعر المعز او من وبر الابل على هيئة ذُرّاعة. ويقوم من تلك الدراعة قبعٌ يغطون به رؤوسهم في اوقات الصلاة وآناء الدعاء. وللدراعة ايدٍ واسعة فضفاضة تشبه فم القربة او فم الراوية. ويشدّون على اوساطهم مناطق يقطعونها من جلود الدواب. وفي ايام الشتاء وايام المناسك والمشاعر التي يقيمونها جماعاتٍ جماعات وزرافات زرافات وذلك بموجب السنن القديمة التي تلقّوها عمّن تقدّم منهم من آبائهم وشيوخهم يتدثرون برداء يتخذونه اما من جلد المعز والغنم بشعره واما من صوف خشن يشبه كل الشبه برودنا اليمانية. ولهم يوم يجتمعون فيه من كل حدب وصوب وصبب بمنزلة يوم العيد عندهم او يوم الحجّ الاعظم فيأتون مغارة مجاورة لشهوة الجبل الميمون وهناك يسجدون ويُصلّون ويُدمدمون. وقد سمعتُ من يقول ان الخضر كان قد اختلى سابقاً في هذه المغارة واختفى فيها ايام شُدّد عليه آحاب وعزابيل (۲ من اهل الجور والعيث والفساد

(244) واما طعامهم فهم لا يأكلون شيئاً من ذوات الحياة يعني انهم لا يأكلون لحم حيوان او طائر او سمكة او دابّة بريّة كانت او بحريّة ما خلا الجراد اذا وقع في ايديهم. وانما اكلهم ما تخرجهُ الارض التي يحرثونها من الحشائش والانبتة

۱) يريد اهل البدع والهرطقات
۲) يريد ايزابل امرأة آحاب

واحرار البقول وثمار الاشجار وخبز الشعير وربما اكلوا خبز البرّ ايضاً. وهم لا يتزوجون بل يجرون مجرى الخضر الياس واليسع خليفته ويوحنا الحصور عليهم الصلاة والسلام ويشرون بمشاهم . وفيهم طائفة لهم نساء الّا انهم لا يقربونهنّ اذ يعتزلونهنّ عند تنسكهم وهم في الاغلب حفاة صيفاً شتاء . ومنهم من ينتعل النعال . وكلهم لا يشربون مسكراً بل الماء القراح الجاري. ومنهم من لا يذوق لاظة ولا يغتبون تنبة الّا مرةً واحدة في اليوم. وربما فعلوا ذلك كل يومين او كل ثلاثة ايام. وكل منهم يجري في امر الصلاة والصوم واليقظة والنوم والاكل والشراب الى ما ضارع هذه الابواب على طريقة توافق عمرهُ وبنيتهُ ومزاجهُ ورغبتهُ في الامعان في الزهد الاقصى على ما يقضي به احد زعمائهم الشيوخ المحنكين. ولم أرَ جماعة منهم تجري كلها على طريقة واحدة او نسقٍ واحد

وهم يُرسلون جُممهم ارسالاً . بل يعفونها اعفاء . واذا فاضت وفرتهم جزّوها جزءاً او أحفوها احفاء او عقصوها عقصاً من ورائهم كلٌّ على ما يُحبّ وتشتهيه نفسهُ ويشير عليه دليلهُ. ولم ارَ فيهم احداً قد مرَّ عليه الموسى او غير المقصّين. وقد سمعت ممّن يساكنهم ويتردّد اليهم انهم كانوا في الاصل جماعاتٍ وطوائف مختلفة تجمعوا من صفوة كل فرقةٍ صالحةٍ من فِرق قوم اسرئيل الناجية . وذلك ان اليهود لعنهم الله تعالى واخزاهم لمّا (245) اخذوا يبتعدون عنهُ عزَّ وجلَّ في عهد الخضر عليه السلام رأى فريق منهم ان يعتزلوا هوأيهم الذين ضلّوا سواء السبيل هائمين على وجوههم في كل وادٍ وقاموا بائنين عنهم متأثرين النبي العظيم صلى الله عليه وسلم مصلين صائمين متمكنين متعبّدين متنسكين متألهين متبعين مناسك الدين المبين يعني الدين الحنيف دين ابرهيم الخليل صلعم. ذلك الدين الذي لم يبقَ على سنتهِ في ذلك العهد الّا الخضر عليه السلام وبعض من اتّبع الحقّ والهدى ولم يحدْ عن سواء السبيل فورد موارد الرّدى

ثم لمّا تمادى بهم الزمان وتعاقب عليهم المَلَوان اختلف بعضهم عن بعضٍ في كيفية تأدية شعائر الدين فانقسموا طوائف . ثم تناقص عدد اصحاب بعض هذه الفرَق والشعَب تناقصاً اضعفهم شيئاً بعد شيء حتى الجأهم الى ان عادوا فتآخوا وتضامّوا ما بينهم وقد بقي مع ذلك يختلف بعضهم عن بعض في امور عارضة عرضية ليست ذات

شانٍ في امر جوهر الدين . ومن غريب امرهم انهم كلهم يزعمون ان الخضر عليه السلام رأسهم وامامهم وسيّدهم وزعيمهم . ولهذا كانوا يُسمون انفسهم في بدء امرهم « بني الخضر » كما تقول نحن « بني طيّء وبني تَغلِب وبني يَشكُر »

ثم انضمَّ اليهم بعد ردح من الدهر قوم آخرون أصحاب فضل ظاهر بين ظهرانَيّ قومهم اسمهم « الرِحابيُّون او الرُحّاب او الرُحبان » فصُحفت الكلمة بصورة « رهاب ورهبان » (١ . وهؤلاء كانوا يقيمون في ضواحي القرى (246) وبعض الجبال وقللها . فزال عن الأوّلين اسم « بني الخضر » لان شهرة هؤلاء ابتلعت شهرة اولئك فعرفوا كلهم بالاسم الثاني لاشتهار أمر الآخرين بفضلهم وفضيلتهم بين الناس اجمعين

ثم ظهر في مُدُن بني اسرئيل قوم آخرون يُعرفون « بالأُساةِ او الأُسَاتِيَة » ولعلهم سُمّوا بهذا الاسم لان بعض المرضى والزمنى كانت تختلف اليهم فيصلّون على رؤوسهم او يقرأون عليهم بعض سُور التورية وآياتها فيزول عنهم الداء باذنه تعالى . وذكر لي بعض العارفين بأحوالهم ممّن اثق بروايته أنهم يُسمّون في بعض ديار بني اسرئيل باسم « الحسيدة » يعني الطائفة المحسودة لان كثيرين من الناس يحسدونهم على طريقتهم هذه النسكية ولا يجودون بانفسهم كأثرهم

ومن الفِرق المنضمّة الى ما تقدّم ذكرُهُ « طائفة المغتسلة او المستحمّة » وهم اقوام يقيمون على الانهار والمياه الجارية يكثرون من الاستحمام والاغتسال يقيناً منهم ان الوضوء للاعضاء الخارجية يدفع الى المحافظة على النظافة الباطنة وهي لها بمنزلة الاشارة او الذِكرى

وهذه الفِرق المختلفة لمّا تضامّت وتناصرت اتّحدت فاصبحت فرقةً واحدةً عظيمة النفوذ في آل اسرئيل بل هائلة وكانت تكره كل الكراهية بل تناصب كل المناصبة فرقتين اخريين وهما فرقة واحدة من جهة محاربتها اضرتهما اسم احداها « الفرقة الصدوقة » واسم الثانية « الفرقة الكذوبة » وهي الفرقة التي يسمّي اصحابُها انفسهم « الفرقة الفريزة » يعني المُفرَزة كانهم قد افرزوا انفسهم عن سائر الناس وسوادهم واعتزلوهم تكبّراً منهم وخيلاء . ولهذا وقعت منافرة بين هاتين الطائفتين

---

١) يشتقّ اللغويون اسم ... الله ولعلّ هذا الاشتقاق اصحّ واصدق

المتعاديتين بين الجماعة القيّمة وهي الطائفة الاولى القويمة الناجية (247) وبين الجماعة الحائدة الضالّة الهالكة وهي الطائفة الثانية فظعن كثير من اصحاب الحقّ المبين الى الديار المصريّة تخلّصاً من اعدائهم وحبّاً بالمحافظة على اصول دينهم فنشروا ثَمّ آراءهم وتعاليمهم الدينية فتبعهم قومٌ لا يُحصى عددهم من اليهود وغير اليهود. ولمّا نقل الحواريّون النصرانيّة اليها كان هؤلاء الناس من اوّل الذين دانوا بها. لان هذا الدين كان موافقاً لآرائهم ومنشطاً لها. ولهذا كان اول ظهور الزُّهد والنسك في النصرانية في تلك الرُّبوع ثم انتشر منها الى سائر الاقطار النصرانيّة مبتدئاً في عودته بديار الشام على ايدي هؤلاء المتألّهين الزُّهّاد المصريين محلّاً وموطناً. والروم لغةً وامّةً. واليهود اصلاً ومنشأً. كل ذلك من باب الاغلبية والّا فكان فيهم غير اليهود. وعلى هذا الوجه اصلح الزُّهد ما افسده حبُّ الدنيا ولهوها. اذ كلّما ادخل الحرصُ على الدنيا شيئاً من الشقاق والشرّ والفساد طرده التُّقى وجاء بالوفاق والبرّ والرشاد. حتى انه لم ينقطع الصلاح والخير من آل اسرئيل ابداً. ومن ثَمّ لم يهمل الله عزّ وجلّ أمّته المصطفاة من بين جميع الامم بل وقاها من شَرَك الشِرك وضرّه مع انها كانت في اجلّ موضع من مواضعه

الى ان جاء عيسى عم فدفع القلوب الى اتمّ الزُّهد وأَكدِهِ وحبّبهُ الى الجميع لانهُ ما كان يرى في هذا الامر صعوبةً او وعورةً اذ انهُ قد اعتاد مشاهدة النسّاك على جبل الكرمل وفي جوار الاردن حينما كان يختلف اليهم في صُبوّته مع أمّهِ مريم عم فكان يجدهم على جانب عظيم من الفرح والبشاشة مع ما كانوا عليه من شظف العيش وخشونته وقلّة عددهم بعد مهاجرة اخوانهم ولم يرَ مثل هذا السرور في فرقتي الصدوقة والكذوبة. فاذا علمت هذا ثبت لك ان النصرانية كانت يومئذٍ من اجلّ الاديان اذ دعت الجميع الى الزهد في الدنيا واحتقار ما فيها من الطيّبات الزائلات والسعي وراء الطيّبات الباقيات الخالدات. ولهذا انشأت في قلوب اصحابها قوّةً قذفتهم (248) الى أبعدِ مَرْمًى من الفضيلة فقام فيهم عددٌ لا يُحصى من اعظم الرهبان والنسّاك والمتألّهين الذين يعيش بينهم الأبدال المقرّبون من ذي العزّ والجلال فلولا ما فيها من هؤلاء العُبّاد لحلّ في دين عيسى عم شرُّ الفساد

لا جرم انّ الفِرَق والبدَع ظهرت فيه لكنّها لم تضرّهُ ولم تؤذهِ بل قوّةً زادتهُ

واولتهُ عظمةً وأمدَّتهُ منعةً وخولتهُ رهبةً وأيدَتهُ فشوًّا وانتشارًا. لاسيا لانَّ من هؤلاء النسَّاك من كانوا يبذلون كل ما في وسعهم للمحافظة على اصول دينهم ولم يضنوا بأجود ما عندهم وانفسهِ. ولم يظنُّوا ان في الكون امرًا يُضاهي اجرًا مثل عضد الدين وبثهِ في العالمين . ومن ثم فانهم لم ينظروا ابدًا الى حُطام الدنيا وزُخرُفها ولهوها . . . . حفظنا الله ووفقنا الى السداد . في البدء والمعاد . اللهمَّ امين . يا ارحم الراحمين . ومجيب ادعية عبيدهِ المترحين

الطبّ في الحبشة

للصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل وهد

١ نظر عام

شأن الاحباش في صناعة الطب شأن كل البلاد الاوليـة التي لم تدخل بعد في مجرى تمدن بقيَّة الامصار فيتعاطى هـذا الفنّ رجال مشعوذون يلحق بهم المنجمون والسحَّارون ومفتشو البخت وامثالهم اخصُّهم اهالي مدينة گوندر وهم امهر الاطبَّاء في عرف الاحباش . اما سكان مملكة الشوا فاطباؤهم الگالا . وقـد ائتلف هؤلاء المشعوذون مداواة بعض الامراض الشائعة في هذه الانحاء كالزهري مثلًا حتى اضحى بعضهم خبيرين بالداء يعرفون مجرى هذه العاهة بكل دقَّة . اما كيفية تطبيبهم فليست من الغرابة بشيء . فلا نجدهم لاحظوا ملاحظةً ام استعملوا علاجًا خفي سرّه على غيرهم فالعرب في زمن الجاهلية كانوا ارقى في الطبابة من الاحباش في يومنا وهم اليوم يستعملون نظير العرب الدالك والحجامات والفصادة وقد زادوا في هذه السنين الاخيرة شيئًا اخذوه عن الافرنج وهو استعمال الزئبق ويودور البوتاسيوم . والحبشي وان طبيبًا يجهل معرفة تركيب جسد الانسان فان تشريح الجثث ممنوع في الحبشة كانهُ بدعة في الدين ولذلك هم يفترضون وجود بعض الاعضاء او الشريانات في الانسان بالمشابهة مع ما ماثلها في جسد الحيوان لوجه الشبه الناتج من وظيفتها فيه

٢ً تقسيم الامراض

يقسم الاطباء الاحباش ما يعرفونهُ من الامراض الشائعة عندهم الى اقسام وقد تخطّوا في هذا التقسيم الى ان جعلوا اسماء مختلفة لمرض واحد تختلف اشارتهُ بحسب اختلاف طوره كالزهري فانهم يدعونهُ «كيطّين» في ابتداء العلّة واذا ازمن وظهرت لهُ اعراض اخرى ثانوية سمّوه «وردي». كذلك الحمى فاسمها «تش» اذا تسببت عن ضربة و«وبا» وهي الملاريا و«تقوسات» وهي الناتجة عن عسر هضم او تكوّن صديد في قرحة او خُراجة او ما شاكل ذلك. امّا الامراض الاكثر شيوعًا في بلاد الحبش فهي الجلدية ويقسمها اطباء الحبش الى قسمين فيجعلون الحمراء والجدري والجرب في القسم الاول. والجذام والبرص والزهري في الثاني. وما خفي عنهم كنهه نسبوه الى العين والارواح كفقد الذاكرة في الحمى والهذيان وكبعض الامراض التي يحصل منها رعدة في الجسم او اندفاع دم من الحلق او تشنج في الاعصاب او نحو ذلك. وقد يُكرهون مثل هؤلاء المرضى على تجرع كمية جسيمة من الماء نحو اربعة او خمسة ليترات في ساعة واحدة فيشيمون بذلك مفاعيل الامانة بالماء المقدَّس ويقضي بذلك المدنف نحبه لغزارة ما اودع في امعائه من كمية السائل

واكثر ما يفشو اليوم بين الاحباش وما يعدّ ضربةً على هذه البلاد منها عاهتان كبيرتان: الزهري والبرص او الجذام وهما المرضان اللذان لم يدعا بيتًا الّا ودخلاهُ ولا عائلة الّا وابتلاها وهما الداءان اللذان ضُرب بهما الملك والملوك والسادة والعبيد

٣ مرض الزهري

اذا قلت ان نصف اهل هذه البلاد قد غلب عليها داء الزهري قد لا اكون بلغت النسبة الحقيقية بتمامها. وممّا يوصف لهُ ان هذا الداء بامتداد متواصل في كل يوم وما ذلك الّا لكون الحكومة جاهلة لا تتّخذ احتياطًا لتمنع سريان الداء كما وان الاهلين لا يكادون يعيرونهُ بالًا فيفتك بهم فتكًا ذريعًا ويصيب فتيانهم منذ حداثة سنّهم. وقد رأيت بعض الاحباش يشربون محلول يودور البوتاسيوم ابدًا معلومة في كل شهر على مدى حياتهم احتياطًا دون ان يظهر عليهم لوائح المرض

وقد اعتاد هؤلاء القوم ان لا يفرقوا بين مرض وآخر من امراض الاعضاء الجنسيَّة فجميعها عندهم انواع من الزهري اللهمَّ الَّا البلانوراجيا (تعقب المجرى البولي)

واذا سئل علماؤهم — ان صحَّ ان ندعوهم علماء لانَّ العالِم عندهم من أحسن القراءة وكتابة الرسائل — كيف كان اصل هذا المرض في الحبشة. اجابوك كلهم انهُ مرض منقول اذ لا ذكر لهُ في الكتب القديمة. فيدعي بعضهم انهُ جاءهم في الاصل من مصر عن طريق النيل. ويقول الآخرون بل اصلهُ من الافرنج. وقوم يقولون ان العرب النخاسين والتجار اتوهم في الاصل بهذه العدوى والله اعلم. على ان السببين الاولين قد يمكن ان يثبتا معاً. اما الثالث فيصعب تصديقه لان الجهات التي اختلف فيها العرب اكثر من اختلاطهم بالاحباش لم يظهر فيها هذا الداء الَّا عقيب خضوعها للحبش وتكاثر الاحباش فيها كبلاد هرر وولّو وجمّا وغيرها من بلاد المسلمين.

ثم ان المتطببين الوطنيين يؤكدون ان قوَّة العدوى بهذا الداء قد ضعفت كثيراً عن الاول ويقولون انهُ في البدء لم يكن رجل يستطيع ان يمسَّ بصاق احد المبتلين الَّا ويسري اليهِ الداء. اما اليوم فيستطيع الانسان ان يأكل ويشرب مع المريض ولا خوف عليه. على ان هذا الكلام فيهِ نظر مليٌّ اذا اعتبرنا ان ولوج جراثيم الامراض لها طرق معلومة لا تستطيع السير بسواها. فنعدُّ قولهم جزافاً ليس بعلميٍّ وكثيراً ما يتهوَّرون في التهلكة لقلَّة فطنتهم يشهد على ذلك اشتداد الازمة المرضية عندهم في هاته الايام وايلادهم البنين المرضى بالوراثة وبعضهم باحوال واشباه غريبة يعرف كنهها الاطباء.

مرض البرص

قد يزيد عدد من ابتُلي بالبرص عن المبتلين بالزهري وقد شوهدت آثار هذا المرض في الحبشة في كل آن ومكان. اينما حللت. وحيثما توجهت ترى على الطرقات اناساً امتلأت وجوههم بالادران وسقطت اصابع ايديهم وارجلهم وتكوَّن على اجسادهم لُمع بيضاء تظهر جلياً لسواد بشرتهم. هؤلاء هم من لا يتقي احد من الاهلين مخالطتهم ولا يخشون العدوى ولا يأنفون من مرآهم حتى ولا يؤمنون بانتقال هذا الداء منهم الَّا بالوراثة فيدخلونهم الى بيوتهم ويطعمونهم على موائدهم. وقد رأيتُ

منهم انكثيرين وسط اسوار القصر الامبراطوري يشاركون الجنود والضباط في الا كل على الموائد العمومية التي تمدّ في الاعياد. واذا اراد سيد حبشي ان يوزّع الصدقة جمع في بيتـه البُرص وغيرهم من البائسين فيطعمهم الخبز ويسقيهم الخمرة حتى يخرجوا من هنالك كلهم سكارى. واذا مرض احد هؤلاء الرؤساء دُعي الى بيته البُرص والعميان فكثروا في بيتـه يأكلون ويشربون ويسكرون الى ان يشفى المريض او يموت. واذا مات احدهم أُقيمت كذلك الموائد مدة اربعين يوماً ما دامت المناحات والمدعوون الى هذه الموائد هم البُرص والعميان الفقراء.

وقد رأيت انكثيرين من ذوي هذه العاهـة يطلبون الصدقة بين البيوت ومنهم من ينشِد الاناشيد. والاغرب ما شاهدته في العاصمة اديس ابابا نفسها حيث كثير من البُرص يركبون الخيل المقورة مع نسائهم واولادهم ويذهبون هكذا من محلّة الى محلة ينشدون الاناشيد ويتسوّلون خصوصاً ايام الاحاد والاعياد الكبيرة عند بزوغ الفجر.

هذا وقد شرع آباء الرسالة الكاثوليكية في هرر منـذ اكثر من ست سنين بتخفيف هذه المصيبة عن ذويها فتحوا مستوصفاً جمعوا اليـه نيفاً ومائة ابرص. لكن ضيق ذات يدهم لم يمكّنهم من فتح غيره في الامكنة الاخرى وليس لهم من يساعدهم في ضنيهم هذا الخيري.

وممّا سمعتُ هنا حكاية شهيرة في الحبشـة عن النجاشي تاودروس الذي اراد استئصال هـذا الداء من بلاده. قيل انهُ اتفق يوماً ان رأى البُرص اذ كثر عددهم عند قصره وحول مضاربه وعلى حافة طريقه حيثما تجوَّل فقصد ان يمحو اثر هـذا الداء. فأمر ان تُبنى محلات واسعة من الخشب والهشيم فَبُنيت ثم اصـدر امراً يدعو فيه عموم البُرص في مملكته الى مائدة ذُبحت لهم فيها الابقار والاغنام فحضر اليها الالوف من ذوي هذه العاهة الموجودين في بلاد تكره حيث كانت قاعدة ذلك النجاشي واذ امتلأت هـذه المحلات كلها وأكل المدعوّون وشربوا وسكروا امر فأوصدت عليهم الابواب وأُشعلت بهم البيوت. قيل انهُ قد هلك في ذلك اليوم ستـة آلاف ابرص في تلك الوليمة وكان النجاشي ينظر الى المحرقة الهائلة بعين السرور قائلاً: «من اليوم لن يُقال لي اني املك على شعب منتن».

لعمري انّ هذه لحكاية غريبة بل جريمة شنيعة! على ان من قرأ تاريخ حيـاة

تاودورس ذاك النجاشي المتوحش لا يصعب عليه تصديق هذه الرواية التي تقشعر منها الابدان

٥ً الدودة الوحيدة

من علم ان الاحباش يتغذون باللحم النيّ وهو عندهم طعام وطني يأكلهُ كلّ يوم وفي كل وقمة من النهار كلُّ من استطاع ذلك وسمحت له ذات يده لا يتعجَّب اذا قيل له ان لا حبشي الّا ويضيف في امعائه الدودة الوحيدة على طول حياته. لهذا جرت عادة عموميَّة عند الاحباش فكل حبشي يتجرَّع الدواء الطارد مرَّةً في كل شهرين بلا انقطاع وهو يفضّل ان تأوي اليه الدودة الوحيدة بل تبلغ العشرات من ان ينتهي عن اكل اللحم النيّ. وانَّما العناية الالهية جعلت لهم الدواء بقرب الداء فيتخذون لذلك دواء يستخرجونهُ من شجرة يسمُّونها الكوسّو (Kousso) تنبت في بلادهم فلا يكلفهم الدواء ثمنًا غاليًا

وقد جعل بعض المثرين منهم يستبدلون الكوسو بحبوب خلاصة السرخس الذكر او بالبلتارين (pelletérine) التي يأتيهم بها بعض التجار الافرنج الّا ان قلّة المال لا تسمح لكثيرين بابتياع هذه العقارات الغالية الثمن

٦ً الجراحة

يندهل الاحباش اذا ما رأوا عمليَّة جراحيَّة يجريها امامهم احد الجراحين الافرنج وهم لا يزالون يذكرون اعمال جمعية الصليب الاحمر الروسية وقد اتى جرّاحوها بالمعجزات الجراحية امامهم عند ما جاءوا الى الحبشة عقيب حرب الاريتره. ويروون الى اليوم بكل اعجاب عملية فتح الجمجمة صنعها امامهم منذ نيف وعشر سنوات الدكتور دي كوڤاليت احد اطبّاء البحرية الفرنساوية الذي كان وقتئذٍ يصحب احدى البعثات العلمية في هذه الاقطار

غير ان المتطببين الوطنيين قلّما عمدوا الى الجراحة وهم يجهلون العمل في مسيس الحاجة الى المجبّرين والحجّامين الذين تراهم في المدينة يدورون الاسواق حاملين عدّتهم واجهزتهم الجراحية وغالبًا قرنان صغيران لاجل الحجامة وبعض الابر الغليظة وقليل من

شمع العسل وسكين قاطع او اثنان. وهؤلاء المجبرون والحجامون هم في الغالب قليلو الجسارة لان الحكومة لا ترحم الذين يقدمون منهم على عمليات تؤدي الى سوء العقبى. على اني نظرت من عامة الناس وخصوصاً من الجنود قوماً يجبرون الكسر بمهارة ولباقة ويشدّونه بالرباطات ومنهم من يحاول اكثر من ذلك في اوقات الضرورة القصوى فلا تُعدم غيرتهم نتيجة النجاح

حكي عن النجاشي منليك انهُ قُدِّم اليهِ يوماً عند عودته من حرب الاريتره رجل قد انثقب بطنه لرصاصة كانت اصابته دون ان تقطع الامعاء وخرجت من الناحية الاخرى فتكوَّن الصديد في الغشاء الشحمي ولم يعد ينتظر غير الموت لينجو من آلامه. فلمّا راه الامبراطور على هذه الحالة اخذ قضيب بندقية كانت ملقاة امامه وانفذها في جرح الرجل حتى اخرجها من موضع خروج الرصاصة فنفذت للوقت كمية كبيرة من الصديد وبرئ الرجل. وهنا مجال القول ان جلالته لهُ صيت طبيب ماهر في الحبشة وقد سمعتهُ يوماً يقول اذ كان يحضر فتح جراحةٍ لاحد خدامهِ الاخصاء في القصر انهُ كان هو طبيباً في عهد لم يكن بعد قد حضر الاطباء الافرنج الى هذه البلاد

وفيما خلا ذلك فان عموم الاحباش اذا جُرح احدهم خاطوا لهُ جراحهُ بكل ما امكنهم من السرعة. واذا وجدوا في محلّ تعذّر عليهم فيهِ وجود الابرة والخيط جمعوا الشوك من البرية وحموا بهِ الجرح حتى يتوصلوا الى ضمده وخياطتهِ. واذا لم ينقطع نزيف الدم لطخوا عليهِ لبخةً مؤلفة من رماد التبغ واوراق بعض النباتات البرية ثم جعلوا فوق ذلك كمية من الطين اللزج وشدُّوا الجرح بوثاق من القماش فينقطع النزيف. وعند ما يُحكم على احد بقطع احد اعضائه (وهذه العادة الوحشية لم تزل جارية في هذه البلاد) يغمسون العضو الباقي بعد القطع في الماء الحارّ فينقطع الدم. وقد ذهبت يوماً في اديس ابابا لاستحمَّ في الماء المعدني الحارّ حيث بنى عليهِ احد الارمن حمّاماً فاذا بالجند يجرُّون سارقاً حُكم عليهِ بقطع يده. واذ دنوا بهِ من مجرى الماء الحارّ الخارج من الحمام شدوا ساعده بوثاق ثم اتى احدهم بسكين غليظة فقطع بها دائر المفصل واخذ كفَّ المنكود الحظ بيده فخلعه من مفصله بلمحة البصر ثم غمس الساعد المقطوع في الماء الحارّ. وقد اقشعرَّ بدني من هذا المنظر الفظيع واعتراني الدوار فأظلم النور في عينيَّ لكنَّ المجرم كان ينظر الى يده وهي تُقطع ولا يصرخ ولا يستجير ولم تسقط

دمعة واحدة من عينيه كانه جماد والحق يقال ان هؤلاء القوم اقسى من الجماد

٧ً التوليد

اذا احسّت المرأة الحبشية بقرب ساعتها دعت اليها اقاربها او جاراتها ليساعدوها في الولادة والفقيرات او العبدات منهنّ يلدن بلا مساعد. وقد تقوم اليوم مقام القوابل نساء متقدمات بالسنّ مارسنَ التوليد بالاختبار ولكن قلّ من دعاهنّ من الاحباش الّا نساء ذوي اليسر. واذا ولدت المرأة سمعت حول دارها طلقات متعددة من البنادق فيهرع الاهلون والجيران لتهنئة الاب والاقرباء.. امّا الام والطفل فيكونان وراء الستار خوفاً من العين !

وبعد الولادة بثمانية ايام الى خمسة عشر يوماً يُحتفل بتطهير الطفل لان الاحباش كالاقباط يُختَنون اولًا ثم يُعمّدون

٨ً العقاقير الطبية

ليس اقرباذين الاحباش طويلًا ولا العقاقير فيه متعددة الاجناس والمتطببون يحملون الدواء الى المريض سرًّا وعندهم ان استعمال الدواء بالسرّ ضامن لحسن مفعوله. واول هذه العقاقير واهمّها هي العسل والسمن فالعسل يُستعمل في تركيب بعض المعاجين والمساحيق النباتية والسمن دواء بذاته يستعمله المتطببون لشفاء امراض كثيرة فهو القيّئ والمسهل والدهون والفروك وغير ذلك واذا اضفتَ الى ما ذُكر الكوسّو بانواعه ومسحوقاً نباتياً يدّعون انه يشفي من الكَلَب ومسحوقاً آخر يتشقونه في الانف اذا اصابهم الزكام وزد على ذلك الكتابات والرقي والحُرَيبلات ودهن بعض الاشجار بالسمن فتكون عرفت الاقرباذين الحبشي باجمعه . وقد ابتدأوا اليوم باستعمال بعض الادوية الافرنجية فهم الآن يعرفون اليودوفورم والكينا ويودور البوتاسيوم والعشبة المغربية (السلسابريليا) وحبوب السرخس الذكر .

وباعتقاد لا يسعني السكوت عن المياه المعدنية الموجودة في محلات مختلفة في هذه الاقطار وقد عرف الحبش مفاعيلها من [illegible] بها ويبرأون وخصوصاً المبتلون منهم بوجع المفاصل او بالجرب على انهم اخترعوا الخرافات ايضاً في وصف هذه

المياه فمنها عندهم ما يأتي من بحيرة طبرية ومنها ما يزعمون أن القديس جاورجيوس غرس فيها رمحهُ الى غير ذلك من الحكايات الغريبة. وقد نظرت منها نبعاً لا يبعد كثيراً عن هرر يقال لهُ ماء ارتو فوجدتهُ شديد النفع لشفاء الامراض العصبية

الدرّة النفيسة في مآثر الكنيسة

بقلم حضرة الخوري رفائيل البستاني من اساتذة مدرسة الحكمة العامرة نظمها بفرصة يوبيل قداسة الحبر الاعظم فثبتنا في هذا العدد الاخير كسك ختام سنتنا وواسطة قلادة المجلّة

أطلقْ يراعاً للقريض ونضّدِ ... عِقْدَ البلاغة من شذور العسجدِ
جُلْ في متون الفكر وآثِرْ بجانةٍ ... بأبرّ خالداتٍ في العصور وأَنشِدِ
وأمرحْ مُجيلاً طرفَ طَرْفِكَ ثمّ قِفْ ... واستشهدِ العشرينَ قرناً تشهدِ
ألفانِ من حُقبِ السنينَ تدفّقت ... دُرَراً فأيّ مزيّةٍ للمنشدِ
فتصفّحِ الايامَ أنّى جئتها ... واتْلُكْ بالخبر اليقين المسندِ
أضحت لِرَقّكَ الهابعُ رَحْبَةً ... فيرِ الحثيثَ وردْ غيرَ الموردِ
وفرتْ لديك مآثرٌ بهيّةٌ ... شتّأْ اسمى من مقال معدّدِ
أتضيقُ ذرعاً في مديح كنيسةٍ ... فصُّ النضاءِ بدرِها المتنضّدِ
فَقُلِ الكنيسةُ إن ترُمْ تعريفها ... هي ما بناهُ الله فوق الجلمدِ
هي صوتُ ربّكَ هاتفٌ بعبادهِ ... يدعو الشعوبَ لكل فضلٍ امجدِ
ورسولُ سلمٍ للممالك كلّها ... وشهابُ رشدٍ مَن يشأْ فليهتدِ
أُمُّ اليتيم وللحزين عزاؤهُ ... شمس الضليلِ ومنجعٌ للمجتدي
ذُخْرُ الفقير وللبغاة مؤنّبٌ ... حصنُ الضعيف مقوِّمُ المتأوّدِ
ينبوعُ كلّ تمدّنٍ وتقدّمٍ ... واساس فضلٍ في العباد مشيَّدِ
وهي الشكيمُ لكل فحلٍ جامحٍ ... ولكل شعبٍ ثائرٍ متمرّدِ
فتحت ذراعيها لمظلوم كما ... وَقَفَتْ لعاتٍ ظالمٍ بالمرصدِ
نشلتْ بني الانسان من وَهْدِ الغوى ... فسما بساطع نورها المتوقّدِ

تتليها أولى الانام سعادةً ... وسلامةً وأياد غير تعدد
تبغي السلام ولا تراعي جانبا ... في الحقّ او تخشى سهام مندّدِ
كم مرّةٍ حقنت دماء القوم اذ ... فلّت بحكمتها شفار مهنّدِ
ووقت عبادَ الله صولةَ غاشمٍ ... بمجنّ تدبيرٍ وفطنة مرشدِ
كم اصلحت بين الملوك وهذّبت ... شعباً واوات منّةً لم تجحدِ
افعالها في صيغتين تصرّفت ... امرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن رديّ
قد قيل سرُّ الغرس في اثماره ... فثمارها راقت وطابت للصدي
فابنا البنون بكل صنعٍ فضلُهم ... يزهو كروض حلّها قطرٌ ندي
من عالمٍ ومعلّمٍ ومدبّرٍ ... ومهذّبٍ او مرسلٍ او موفدِ
جابوا البلاد مشارقاً ومغاربا ... يدعون للمجد الصحيح الاوكدِ
قد طوّقوا جيدَ الانام قلائدا ... غُرّراً تروح بها الرُّواةُ وتغتدي
كم من يدٍ بيضاء اسدَوها وكم ... من صُنع برٍّ بالثناء مخلّدِ
حيثُ التفتَّ ترى سني افعالهم ... من ملجإٍ او معهدٍ او معبدِ
ما هالهم ثبجُ البحار ولا ثنى ... عزماً لهم نصبٌ وهولُ الفدفدِ
يتهافتون لفعل كل مبرّةٍ ... وجميل صنعٍ كالعطاش الوُرَّدِ
هذا يجود بنفسه ونفيسه ... هذا بعلمٍ او بروحٍ او بيدِ
غرسوا الحقائق في البلاد وقد نمت ... اذ قد سقوها من دم مستشهدِ
وحموا حماها من رعاة ابالسٍ ... مجحين بهان مشع اوطدِ
ما راعهم قطُّ اضطهادُ عداتهم ... فالله درّعهم بسامي الموعدِ
«فاذا اضطُهدتُم فافرحوا فأجوركم ... هي في ديار اني نعيمٌ سرمدي»
«اني اصطفيتُك يا صفا فارعَ الخرا ... ف وذبّ عنها كلّ صولة معتدِ»
«ولقد أقمتك حارساً لحظيرتي ... واليك ألقي آمناً بالمقلدِ»
«ابواب قوّات الجحيم اقلُّ من ... ابلاغ غايات العدى والحسّدِ»
عبثاً يريش بنو الظلام نبالهم ... بتحاملٍ وتوعّدٍ وتهدّدِ
نسجوا على نول التخرّص والخنى ... جلبابَ بغيٍ وافتراء اسودِ
لا بدْع ان مجّ المريضُ الشهدَ او ... عابت شعاعَ الشمس مُقلةُ ارمدِ

أيحاول الجهالُ دكَّ كنيسةٍ   قد شُيِّدت في متن صخرٍ أصلدِ
عشرون جيلاً قد مضت وتصرَّمتْ   وحُسامُ آل جهنَّمٍ لم يُغمدِ
إنَّا لَتعلَمُ حالها ومآلها   فالأمسِ ينبئنا باخبار الغدِ
كم مرَّةٍ قد كرَّروا حملاتِهم   ثمَّ انثنوا خزيًا بوجهٍ اكمدِ
تلك السفينةُ دينا ربَّانُها   أيروعها هولُ الخضمِّ المزبدِ
كفُّ الاله تدير «دفَّتها» فلا   تخشى تحدُّمَ مُبرقٍ او مُرعدِ
«أنا معكمُ للمنتهى قال المسيحُ   لرسلهِ ونصيركم بتأيُّدي»
«لا تحزنوا لا تجزعوا لا تقنطوا   فتثبَّتوا وثقوا بدون تردُّدِ»
فالله من عرش السماء يسوسها   وبكفِّ نائبهِ متينُ المقودِ
ألقى زمامَ شؤونها في يومنا   لعظيم شأنٍ ذي مكارم اوحدِ
حبرٌ تفرَّد بالشهامة والتقى   وسموِّ ادراك وأنفة أصيدِ
ماضي العزيمة حازم ثبت الجنا   نِ أصيل رأيٍ للصواب مسدَّدِ
ما قال «أمَّا بعدُ» ألا قُدَّت   اقواله الطغيانَ كلَّ مقدَّدِ
يجلو قتامَ المشكلاتِ وان دجت   بشهاب فكرٍ زندهُ لم يُصلدِ
يرعى الرعيَّة بالاناءة والنهى   وعيونهُ عن نجحها لم ترقدِ
يا أيُّها الحبر الجليل مقامهُ   الله حسبك فازدري بالعُنَّدِ
ابناؤكَ الأُمناء فوق تعدُّدٍ   كلٌّ سناءك بالحشاشة يفتدي
فدعِ الأئمَّة رفعةً وتكرُّما   فالنُّبلُ يقضي بامتهان معربدِ
واقبلْ قلائدَ قد نظمتُ بسلكها   دُررًا أتتني من خلالك سيّدي
فسبكتُها طربًا لزعمي أنني   ادركتُ أُمنيَتي وقصوى مقصدي
فبُهِتُّ عند نهايتي إذ قد أرى   بعد الختام كأنَّني لم ابتدِ.

ترجمة عربيَّة قديمة
من الانجيــل الطاهر

بقلم الاديب يوسف افنـدي اليان سركيس

١ً تعريف صاحب الترجمة

بينا نحن نتمتع باستنشاق الهواء الصـافي في ربوع لبنان تردَّدنا بعض الايام الى دير الشرفة في جبل كسروان وتصفَّحنا مخطوطاته القديمة التي بينها عدَّة آثار ثمينة. ويا ليت بقيَّة الاديرة في لبنان تُنظِّم خزائن كتبها القديمة وتفتح ابوابها لطلبة العلم فكانت تخدم بذلك الآداب خدمة تُذكر فتشكر

وفيما نقلّب كنوز مكتبة الشرفة المذكورة اطَّلعنا على نسخة قديمة جدًّا من الانجيل الطاهر (١ رتَّبها وزاد عليها قليلًا من الشروحات في بعض المواطن احد علماء النساطرة الشهيرين وهو "يشوعياب بن ملكون" الذي لم نعهد ان احد المستشرقين نسب اليه هذا الاثر النفيس. فقد رأينا في المكتبة السمانية مع ترجمة هذا الكاتب الشهير شرح مؤلفاته فلخصنا منها ما يأتي:

قال العلّامة يوسف سمعان السمعاني في الجزء ٣ من مكتبتـه (ص ٢٩٥) ما تعريبه:

«يشوعياب (٢ بن ملكون مطران صوبا اي نصيبين له مسائل غرماطيقية سريانية ورسائل وبيان وقد سامهُ يابالاهـا الثاني البطريرك الذي كان قد دُبِّر سابقًا كنيسة صوبا اي نصيبين. وكانت سيامته في سنة ١٥٠١ يونانية الموافقة لسنة ١١٩٠ المسيحية وهو ذاته رسم سبريشوع ابن اخي يابالاها وخليفته في الكرسي البطريركي بعد ذلك باثنتين وثلاثين سنة اعني السنة اليونانية ١٥٣٣ (١٢٢٢م)... وتوفي يشوعيـاب في ايام سبريشوع آخر المعروف بابن المسيح البغدادي

---

١) تكلّم المشرق (٤:٧٠٩) من النسخ العربية القديمة من الانجيـل الطاهر وقال في آخر مقالهِ (ص ٧١٠-٨): «لا نشك في وجود نسخ أُخر عند الخاصة... وفي بعض الاديرة والكنائس فنستنهض همة الادباء ليفيدونا عنها ما استطاعوا...» اه. فلبّينا نابي دعوته ونفيدهُ عن نسخة جليلة لم يذكرها في مقاله » (٢ والاولى ان يُكتب هذا الاسم يشوعيهب ومعناهُ في السريانيَّة «يسوع اعطى» وكان اصلهُ من دُنَيْسِر على بعد فرسخين من ماردين (المشرق)

بعد ان اختار لتدبير كرسي نصيبين مشيحا الذي رُقّي بعدئذٍ الى البطريركيَّة سنة ١٥٦٨ (١٢٥٧م) كما روى عمرو بن متّى»

هذا كل ما كتبهُ العلّامة يوسف سمعان السماني في ترجمة مار يشوعياب بن ملكون. ثم اخذ يعدّد تآليفهُ وينتقدها فذكر اولًا كتابهُ الموضوع في المسائل الغراماطيقيَّة او مسائل نحويَّة في اللغة السريانيَّة وقال ان لهُ ميامر ورسائل ومرثيات (مدائح كنسيَّة) ثم كتاب عربي في امانة السريان المشارقة كتب في اولهِ:

«امانة يعتقدها النصارى السريانيون المشارقة من انشاء الاب القديس ايشوعياب مطران نصيبين المعروف بابن ملكون قدّس الله نفسه وطهر روحهُ ورزقنا بركة صلوته امين»

ولهُ رسائل عربيَّة ايضًا ورد في مطاويها انهُ كان مطرانًا على نصيبين وارمينية وبين رسائلهِ مديح امانة النساطرة ضد البطريرك اغناطيوس اليعقوبي

اما تأليفهُ الذي هو اكثر شهرة من الجميع وقد وصفهُ السماني مطوَّلًا في الجزء الثالث من مكتبتهِ فهو: «كتاب البرهان على صحيح الايمان» موجود نسخة منهُ في الخزانة الواتيكانيَّة تحت عدد ٤٩ وهو يتضمّن ردًّا على الملكيَّة واليعقوبيَّة لاثبات مذهب ملَّة النسطوريَّة. وفي هذا الكتاب نفسه يذكر الطائفة المارونيَّة (١

هذا وليشوعياب بن ملكون أثر لم يذكرهُ السماني في مكتبتهِ ولعلّهُ جهلهُ كما لم يعرفهُ غيره من العلماء. ولم نجد ذكرًا لهذا الكتاب في الخزائن الاوربيَّة(٢

٢ً وصف الكتاب وذكر بعض نُبَذ منهُ

هو كتاب قديم قد حرص عليهِ اصحابهُ وصانوهُ بكل اهتمام وهو مكتوب بقلم سلس مُشرق وقد جُلِّد جلدًا قديمًا وقياس ورقهِ ٢٥ سنتيمترًا في طولهِ و١٧ س في عرضهِ يبلغ عدد اوراقه ١٣٨ وفي كل صفحة منهُ ١٧ سطرًا. يبتدئ هكذا:

---

١) راجع كتاب جامع الحجج الراهنة للمطران اقليميس داود (ص ٢٤١ من النسخة المطبوعة سنة ١٩٠٨) ٢) وسترى في الملحق ان عبد يشوع الصوباوي ذكرهُ في مقدّمتهِ. وكذلك ليشوعياب بن ملكون خطب كنسيَّة مسجَّعة طُبع بعضها في الموصل في جملة التراجيم السنيَّة للاعياد المارانيَّة لالياً الثالث المعروف بابي الحليم (ص ١٥٠ و ١٦٠) (المشرق)

بسم الله الرحمن الرحيم

«كتاب الانجيل الطاهر مفصلًا فصولًا تقرى في الروازين (١ الواقعة في دايرة السنة على ترتيب الدير الاعلى (٢ ويعرف الان بالطخس الموصلي»

ثم وضع لكل احد وعيد وتذكار انجيلًا خصوصيًا لا يقلّ الواحد منهُ عن ثلاث صفحات وعلى هامش الكتاب سطّر «عنيثة» اي لحنهُ او اغنيتهُ. وقد ابتدأ من الاحد الاول من السبار (٣ فقال:

«الانجيل الطاهر لسيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح من بشارة لوقا الرسول يقول:

«لمّا ان كثيرون من المرتّجين كاصحاب سيمون ان يكتبوا قصص الامور المسيحية التي نحن المسيحيون بها عارفون. على ما سلّم الينا تقليد الاثني عشر الذين كانوا من الاول مشاهدين السيد المسيح وخدمًا لكلمة عامه. رأيت انا ايضًا لمّا كنت قريبًا جميع وشدة حرصي من جميعهم ان اكتب لك كل شيء منها على كنهو وترتيبو ايها السيد المحب لله تأوفيل. لتعلم حقيقة الكلمات التي تنبّئتها وآمنت بها. وذلك انهُ كان في ايام هيرودس الملك على اليهود كاهن واحد اسمهُ زكريّا من خدمة آل ابيا (٤ وهي فرقة رئيس من بني لاوي. وكان لهُ امرأة من بنات هارون وكان اسمها اليشبع. وكانا كلاهما صديقين بارين امام الله تعالى. وباوامرو كلها سايرين عاملين. وكانا في عدل الرب كاملين غير ملامين. الخ»

هذا جزء من انجيل الاحد الاول من السبّار نقلناهُ على علّاتهِ. ثم نقلنا انجيلًا آخر برمّتهِ وهو انجيل «يوم عيد ميلاد سيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح بالجسد من آل داود من انجيل لوقا الرسول». قال:

«وفي تلك الايام بعد ميلاد يوحنا المعمدان بستة اشهر خرج الامر من اغسطس قيصر الملك الرومي عن اليهود ان يكتب جميع شعب ملكهِ وولايتهِ لاخذ الجزية ولرد كل انسان الى وطنهِ.

---

١) الروازين من كلمة سريانية رازين أوام ومعناها الاسرار المقدّسة او رتبة القداس

٢) الدير الاعلى هو الدير المعروف باسم ܥܠܝܬܐ ܕܘܝܪܐ وموقعه بالقرب من الموصل ورد وصفهُ في مراصد الاطلاع (١ : ٤٢٢) هكذا: «دير الاعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة يضرب بهِ المثل في رقة الهواء وحسن المشترف ويقال انهُ ليس للنصارى دير مثلهُ لما فيهِ من اناجيلهم ومتعبداتهم. . .»

٣) السبّار ܣܘܒܪܐ هي البشارة وتطلق هذه الكلمة على الزمن الكنسي المعروف بالمجيء

٤) كتب في الهامش: «آبيا جدّ زكريا من نسل فنحاس»

وهذه الكتابة الاولى كانت في ولاية قوريثوس الوالي بسوريا وهي بلاد الشام لانّ كل والٍ أحصى ولايته . واخذ كل انسان في الانطلاق الى مدينتهِ ليكتتب بها . والسرّ الالهي في ذلك ليعود يوسف ومريم الى بيت لحم فيولد السيد المسيح بها . فتتمّ نبوة ميخا النبي في ذلك . وكان أصعد يوسف ايضاً من ناصرة مدينة الجليل الى ارض اليهود الى مدينة داود المدعوة بيت لحم لانهُ كان من بيت داود ومن قبيلتهِ مع مريم خطيبتهِ وهي حامل اذ ذاك ليكتتب هناك . وفي حال كونهما هناك كملت اياما لتلد فولدت ابنها البكر وبه نا يكر من امهِ بالجسد ومن المعاذ بحلول الروح ومن القيامة بما لم يساوره الموت ومن الله بالشرف التام . ودرجته في قمطٍ والقتهُ في معلفٍ اذ كان مرّ جسده علف الحياة لحيوانية الانسان الباطنة لانهُ لم يكن لهما هناك مكان لائق لتمهيده بالمنزل الذي حلّا فيهِ . وكان هناك رُعاة اغنام بالقرب من الموضع الذي نزلا فيهِ وكانوا يحرسون هزيع الليل بالنوبة على مراعيهم . واذا ملَكُ الله قد اتى عليهم ومجد الرب اشرق عليهم باستنارة عقولهم لها . الملاك ففرقوا فرقاً عظيماً جداً لمكان القفر والليل وهجوم الملك بغتةً وعدم الفهم بمشاهدة الرؤيا . فقال لهم الملاك : لا تخافوا لاني مبشّركم بفرحة عظيمة تكون مسرّتها للعالم بأسرهِ فانهُ قد ولد لكم اليوم مخلّص وهو الرب المسيح في مدينة داود وهذه العلامة لكم فيه انكم تجدون طفلًا ملفوفاً في قمطٍ موضوعاً في معلفٍ . وفي الحال بغتةً شوهد مع الملك كثيرون من اجناد السماء ليحقق شرف الولادة وخدمة المولود اذ يمجدون الله تسبيحاً ويقولون التسبيح لله في العُلى كما يحقّ لعلوّ عظمتهِ وعلى الارض السلام بشارة بزوال الشرف الكائن بمعصية آدم ووقوع الامن من الخطيئة للمؤمنين والرجاء الصالح لآل البشر بحلول الاتحاد اللاهوتي بهم والنعم السمائية المعدَّة لهم . ولما انطلقت الملائكة من عندهم الى السماء تكلّم الرعاة بعضهم مع الآخر او بعض قايلين : هلم ننطلق الى بيت لحم . تتأمل هذه الكلمة التي حدثت حسبما اعلمنا الرب . واتوا بسرعةٍ وحرصٍ فوجدوا مريم ويوسف والطفل موضوعاً في المعلف . ولمّا شاهدوا ذلك بيّنوا وذاعوا الكلمة التي خوطبوا بها في معنى الصبي وكل الذين سمعوا الخبر تعجبوا ممّا خوطبوا بهِ من الرعاة . فاما السيدة مريم فكانت تعي جميع هذه الاقاويل وتنقيها في قلبها فتجدها متفقة الى قول الملاك المبشّر لها وقول زكريا لما تنبّأ ونطق بعد ارتتاجهِ عند وجود تمامهِ وقول اليشبع عند سماعها سلامها وارتجاج جنينها وقول الرعاة هاهنا . ورجع اولايك الرعاة وهم يمجدون الله ويهللون تسبيحاً على جميع ما شاهدوه وسمعوه حسبما خوطبوا بهِ »

فترى من هــذا المثال انّ يشوعياب عرّب فصل لوقا ببعض التصرُّف وادمج فيهِ شروحاً وجيزة افادةً للسامعين . وهكذا فعل ببقيّة الفصول الانجيليَّة الى آخرها وهو الانجيل المرتَّب للاحد الرابع من تقديس البيعة من بشارة متى الرسول حيث يقول :

« ولما كان المنزلة (١) عجتمعين سألهم السيد المخلص وقال : ماذا تقولون في المسيح ابن من هو . . . الخ »

١) هم الفريسيون

وفي آخر ورقة من الكتاب ما حرفهُ وهو مكتوب بالمداد الاحمر:

« تمت فصول الانجيل (التي) تقرى في اوقات الصلوات على ما رُتب بالدير الاعلى وهو الطخس الموصلي وذلك بما اصلح في نقلهِ ورتَّبهُ ووشحهُ ولَمَّهُ بشرح نكتهِ وما غمض من معانيهِ باختصار ليفهٌ للسامعين و يخف على القاريين الاب القديس الفاضل المطران المعظم مار ايشوع يلب ابن ملكون من اهل دنيسر نيح الله روحه وحرسنا بشفاعته وبشفاعة الطاهرة العذرى مارت مريم وبصلوات السليحين وجميع القديسين امين »

ويليه بالمداد الاسود:

« ووقع الافراغ منهُ في سنة الف وخمساية واربع واربعين يونانية يعني هجرية ستة ستاية واحدى وثلاثين (١٢٣٣ م) والحمد لله دائمًا سرمدًا على نعماته الى ابد الابدين والى دهر الداهرين امين. وذلك بيد العبد الخاطي الراجي رحمة من الله وغفران برعيتا السطاطور (؟) في خدمة البيع المقدسة العالية المشيدة مار قرياقوس بالقرية المحروسة لف داري في بلد بازبدى والحمد لله رب العالمين »

وفي ظهر الورقة الاخيرة التي اشرنا اليها آنفًا ما صورتهُ

« هذا كتاب الانجيل برسم الخزانة العامرة للرئيس الاجل المحترم للسيد الدّ . . . المرتضى المختار المؤمن هرمز من القرية المذكورة حرسهُ الله تعالى وتد . . . وايده لقرآتهِ واعتراف معانيه ولنزه بصلاة البتول الطا . . . العذرى مارت مريم وبشفاعة جميع القديسين امين »

ومن جملة ما رأيناه في هذا الكتاب من الاعياد والتذكارات ما يأتي:

١ لذكران الشاهد الفاضل عجيب الدعوات مار كيوركيس الواقع في الرابع والعشرين من شهر نيسان. من انجيل متى الرسول

٢ لذكران الربان هرمزد. اقرأ قريان الاحد الاول من سابوع مار موسى

٣ قريان السجدة في القنطيقسطي. من انجيل يوحنا الرسول

٤ يوم الثنا من شَيَّت شَي (١) من انجيل لوقا الرسول. قال في اوله: « ومن بعد ذلك اثنان من تلاميذ السيد المخلص في ذلك اليوم اي يوم احد القيامة كانا ماضيين الى قرية تدعى عماوس. وهي بالبعد من اورشليم نحو ستين غلوة والغلوة سبع الميل والميل ثلث الفرسخ. الخ

٥ الجمعة الثانية من الدنح وهي ذكران فطروس وفولوس من انجيل متى الرسول

ومن ترتيب الاناجيل يتضح ترتيب الاعياد كلها عند النساطرة في القرن الثالث عشر للمسيح ومن جملة اعيادهم: ذكران ملافنة اليونان وذكران ملافنة السريان ومار قثيون الخ . . .

---

١) وهي السبة التابعة لاحد القيامة وفيهِ ذكر مضيّ السيد الى قرية عماوس

وقد استدللنا من بعض اوراق مضافة الى الكتاب ان بعض الكهنة كانوا يفتتحون قراءة فصول الاناجيل بخطبة وجيزة او مقدّمة . واليك صورة واحدة منها نقلناها من هذه الاوراق التي هي مكتوبة بخطٍ يخالف عن كتابة الانجيل لكنها لا تقلّ قدماً عن الاولى

« التسبيح لله دائماً ابـدى . ان اول ما رُنّشت به غرر الطروس . واجلى ما نُقشت به نظر النفوس . والذّ ما نصتت لهُ الاسماع . وجنى منهُ المؤمنون ثمر الانتفـاع . ما اورده مختصر البشارة المسيحية . والمقتصر على ايراد الاشارات السليحية . جالي نُكت الاقاصيص . وشـد المقـايق من شمعون الخصيص . ذو العبارات الانيقة . والاختصاصات الدقيقة . البادي في بشارتهِ بذكر النبوه . والهادي الى اشرف الخلايق الامة المدعوه . مظهر الدرر المنويه . من جلال الصـدفة الشمعونيه . المرتفع من كدر الهيولانيات بالطاقه والصفا . والمرتضع علوم الروحانيات من شمعون الصفـا . التلميـذ المبين والمذب المعين جالب الدر الثمين . من مرقوش البشير احد السبعين يبشر ويقول . . . »

ويلي هذه المقدّمة خطب أخرى مثلها على شكل المقدّمات التي صنّفها ابو الحليم ونُشرت في آخر خطيه السابق ذكرها

مُلحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

بينا كنّا ساعين في نشر المقالة السابقة اتانا عدد تشرين الثاني وهو الحادي عشر من السنة الجارية من مجلّة المقتطف . ومن مضامينه فصلٌ للمنشئ الاديب امين افندي ظاهر خير الله نقلهُ عن « ترجمة قديمة من الانجيل » ظفر بها في احد اديرة لبنان وطلب من المقتطف رأيهُ فيها . فاثبتت المجلة الفصل المذكور دون ان تُبدي في الترجمة رأياً الّا انها اصلحت غلطاً تاريخياً للناسخ . فرأينا أن نُفيد السائل عمّا طلب

فنقول : انّ صاحب هذه الترجمة الاناجيل المقدّسة هو عبد يشوع الصوباوي احد مشاهير كتبة النساطرة في اواخر القرن الثالث عشر اسمهُ عبد يشوع بن بريخا سُقّف اولًا على مدينة سنجار وبيت عربايا سنة ١٢٨٥ ثم نُقل الى كرسي نصيبين وبلاد ارمينية

سنة ١٢٩٠ فساس لعل ،أبه في الجزيرة واطراف ارمينية الى سنة وفاته ١٣١٨ وله من التآليف السريانيّة والعربيّة ما ذكرنا في قائمة ألّفها نظماً وعدّد فيها مصنّفات السريان السابقين لعهده وقد طبعت هذه القائمة مراراً لجليل فوائدها (اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ٣: ٣٢٥—٣٥٠) وكثير من تآليف عبد يشوع قد اخذتها ايدي الضياع ومنها ما نُشر بالطبع كدستور الشرائع الكنسيّة وكتاب الدرّ الثمين وكتاب فردوس عدن

اما ترجمة للاناجيل المقدّسة بالعربيّة فقد سبق لنا ذكرها في مقالتنا المعنونة «نسخ عربيّة للاناجيل المقدّسة قديمة في المشرق» (راجع المشرق ٤: ٩٧—١٠٩) وقلنا هناك (ص ١٠٨) انّ ترجمة عبد يشوع لا تستحقّ اعتباراً لانّ صاحبها لم يراعِ في تعريبها امانة الترجمة وضبط المعنى بل حسن الالفاظ وزخرف السجع. فتراهُ يبني كلّ فصل من فصول الانجيل على تسجيع خاصّ فيجري عليهِ الى آخرهِ. وفي ذلك كما لا يخفى من التصنّع والفضول ما يطمس محاسن الانجيل ويشوّه سذاجة كلام الله التي تؤثر في النفوس اكثر من كل براعة بشريّة. وقد اثبتنا مثالاً من هذه الترجمة في مجموع ادبي طبعناهُ للكليّات الاوربيّة (ص ١٩٤)

والنسخة التي في مكتبتنا من هذه الترجمة منسوخة عن نسخة قديمة وجدناها عند احد افاضل السوريين المهاجرين الى لندن اسكندر افندي صيفي وهي تحتوي الفصول الانجيليّة على غير ترتيبها الاصليّ فنُظّمت وفقاً للآحاد والاعياد السنويّة في الكنيسة الكلدانيّة مباشرةً بآحاد السبار الموافقة لزمن المجيء كنسخة دير الشرفة السابق ذكرها

وافضل ما تحتويهِ هذه الترجمة مقدّمتها التي أثبتها المترجم في صفحاتها وفيها يذكر المعرّب ما حدا بهِ الى تعريبهِ بلغة فُصحى واشار الى ترجمات أُخرى سبق اليها النساطرة قبلهُ كترجمة ابي الفرج المعروف بابن الطيّب الكاتب الشهير. وذكر ايضاً ترجمة يشوعيهب وهو (يشوعياب) التي تقدّم الكلام فيها في مقالة الاديب يوسف افندي اليان سركيس واثنى على هاتين الترجمتين قائلاً عن مؤلفيها أنهما «قصدا التفهيم بالالفاظ السوادج فاعتمدا اسهل المخارج» ثم اشار الى ترجمة ثالثة لم نعرف حتى الآن من امرها شيئاً وهي «للشيخ ابن داود يشوع» ولعلّ الصواب «داد يشوع» أخذ عليهِ بعض المآخذ فقال عنهُ انهُ «مع كونهِ ادّعى البلاغة في نقلهِ وأبان من فصاحتهِ وفضلهِ فانهُ

خلط جمل الكلمات وقلقل مباني الآيات وغيّر الاسماء تعريبًا وبدّل الالقاب تغريبًا وذلك من افظع الخطإ والاجتراء واشنع البدع والافتراء فما اجازته الشريعة وما قرئ على منابر البيعة • ثم اردف القول بذكر ترجمته التي لم نستحسن نحن طريقتها لما ادخله فيها من الحشو لتسجيع فقراتها

وهذه الترجمة المسجّعة قد نقحها الاديب الماروني ابو المواهب يعقوب ابن نعمة الدبسيّ الطرابلسيّ في اواخر القرن السابع عشر فاخرجها على قالب جديد . ومن كتابه نسخة في مكتبتنا الشرقية وصفناها في الشرق (٤ : ١٠٨) وها نحن نورد هنا قطعة من تعريب الصوباويّ وتحوير ترجمته للدبسيّ ليتمكّن القرّاء من المقابلة بينهما

ترجمة عبد يشوع الصوباوي

(متى ٥ : ١-١٠)

فلمّا رأى المخلص جموعًا كثرت رقي الى الطور . واذ جلس وهو قريب . غداة التلاميذ مقتربين منهُ في الحضور . ففتح فاه وجعل يعلّمهم ويقول في الحكم المأثور : الطوبى للمساكين بالروح والضمير . فلهم ملك السماء معدٌّ ومذخور . الطوبى للمحزونين فالعاقبة لهم في السرور . الطوبى للمتواضعين فلهم ان يرثوا الارض والنعيم مصير . الطوبى للمنى والظمأى الى العدالة فانهم سوف ينالون شبعًا وريًّا عند وفاء الاجور . الطوبى للرحماء الواسعي الصدور . فانهُ عليهم تحلّ الرحمة في اليوم الاخير . الطوبى للطاهرين قلوبًا صفوها بلا تكدير . فسيرون الله بالعقل المستنير . الطوبى لصانعي الصلح والسلم لذوي النفور . انهم يدعون ابناء الله مالك السماء الخطير . والطوبى لكم متى استهجنكم وكادكم اهل الغرور . وقالوا فيكم كلّ لفظ سوء من اجلي بالكذب والزور . فحينئذٍ ابتهجوا واكثروا الحبور . فاجركم في السماء موفور

اصلاح الدبسي

فلمّا رأى يسوع جموعًا كثرت رقي الى الطور واذ جلس غداهُ تلاميذهُ ففتح فاهُ وجعل يعلّمهم قائلًا : الطوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات . الطوبى للمحزونين فانهم يسرُّون . الطوبى للمتواضعين فلهم ميراث الارض . الطوبى للجياع والظمأى الى العدالة فسوف يشالون شبعًا . الطوبى للراحمين فانهم عليهم تحلّ الرحمة . الطوبى للطاهرين قلوبًا فانهم يعاينون الله . الطوبى لصانعي السلامة انهم يدعون ابناء الله . الطوبى للذين اضطهدوا من اجل العدالة فلهم ملك السما . والطوبى لكم متى ما استهجنكم الناس واضطهدوكم وقالوا فيكم كلّ لفظ قبيح كاذبين من اجلي . فحينئذٍ ابتهجوا واكثروا الحبور . فاجركم في السما موفور

عاقبة الطمع الندامة

روايةٌ معرَّبة عن الافرنسية بتصرُّف

في غاية كانون الثاني من السنة ١٨٤٦ كنت ترى في مستشفى المجانين في باريس شيخًا ناهز الثانين من عمرهِ مضطجعًا على فراش الموت وكان في ساعة احتضارهِ يذكر ثروتهُ الواسعة ويرفع يديهِ الى الحضور كأنهُ يُجيهم ما في كيسهِ من الدراهم ويضحك لهم كأنهُ يرح في بحبوحة العزّ ويتقلَّب على سرير السلطنة

وان سألت عن اسم المذكور وسرّ احوالهِ أجبناك انهُ يُعرف بسيمون السكّاف قضى سنيهِ الأُولى في رَتْق النعال واصلاح الاحذية ثمَّ أُصيب بمسّ في عقلهِ فأُدخل في دار المجانين منذ سنة ١٨١٦. اما جنونهُ فكان من الصنف الهادي فلا يناوي احدًا ولا يأتي بأذًى بل كان يجد في مسّ عقلهِ لذَّة وبهجة فاذا غاب عن صوابهِ ظنَّ حالهُ اغنى من قارون فتمتَّع برخاء العيش واكل الطيّب وشرب المريْ وتبختر في مشيهِ عجبًا وكل ذلك اضغاث احلام بل رؤيً من الجنون مُني بهِ قبل ثلاثين سنة

وكان الاطباء يشخّصون مرضهُ ويدرسون كافّة احوالهِ لعلّهم يتوفّقون الى ان يعيدوا اليهِ رشدهُ فكانوا بعلاجهم يلطِّفون داءهُ وربَّما اتَّصلوا الى ان يبدّدوا اوهامهُ حتى يكاد يعرف حقيقة حالهِ فيصيبهُ اذ ذاك من الالم واليأس ما يكدّر معاشهُ ويرنّق كأس حياتهِ فيتوسّل الى الاطباء ان لا يسعوا في معالجتهِ لانهُ راضٍ بحالهِ فيدهُ الأساة ولا تلبث نوبة المرض تستولي عليهِ

وكأنك تقول ايها القارئ العزيز: ليس معلول بلا علّة فكيف حلَّ ذاك الداء العياء بهذا المسكين فاطفأَ نور عقلهِ واولجهُ في عالم الترهات

دونك السرّ الخفي والخبر الحقيق. كان سيمون في حداثتهِ تعلَّم اصول السكافة عند احد ارباب هذه المهنة ولمَّا لم يجد في هذه الصنعة ما يقوم باود حياتهِ واصبح لا يملك شروى نقير انضمَّ الى الثورة الفرنسويّة التي ظهرت في تلك الاثناء وصار رفيها وشُغف بيادئها ورأى انَّ في صحبة الثائرين والمناداة معهم بالحريّة والمساواة والاخاء اقرب وسيلة الى جمع المال وتحسين الحال. بيد انَّ مطامع رفقتهِ لم تقلّ عن مطامعهِ

الشخصية وبعد اللتيا والتي حصل على قطعة من الارض في ضواحي باريس على ربوة مطلّة على المدينة يمتدّ فوقها اليوم حيّ تروكاديرو احفل احياء باريس في عهدنا لكنّها وقتئذٍ كانت خالية من السكّان لا يأوي اليها الّا بعض اهل الحرف والصعاليك

وكان في تلك الارض دار صغيرة او كوخ حقير فنضَّد فيهِ سيمون ادوات صنعتهِ في طابقهِ الاسفل وجعل لاهلهِ الطابق الاعلى ورجع الى السكافة التي كان اهملها في ايام الثورة لينال من شغلهِ خبزهُ اليومي . فما مرَّ عليهِ بضعة اسابيع حتى اقبل عليهِ الزبون وتوفَّر عليهِ الشغل الذي اكسبهُ دراهم مكّنتهُ من تأثيث دكانهِ فجهَّزهُ ببعض الكراسي من القش وزيّن جدرانهُ بتصاوير ملوّنة زهيدة الثمن خشبة العمل . وبعد ذلك بسنتين جمع من الدراهم ما كفاهُ لاقتناء عرصة مجاورة لدارهِ فجعلها كجنينة واتّخذ لها سياجاً من الشوك . فكان يزرع فيها في اوقات الفراغ شيئاً من الخضر يضيفهُ الى طعامهِ وطعام اهلهِ

فصار سيمون منذ عاد الى حرفتهِ يقضي ايامهُ بالراحة والسلام ويكتفي بما قدّر لهُ بخته من الرزق لمعاشهِ ومعاش عائلتهِ على انَّ صاحبنا كان في ايام اندماجهِ باهل الثورة سمع كلامهم السفسطيَّ واخذ مبادئهم الفاسدة فبقيت جذورها متأصلةً في نفسهِ لاسيما انهُ كان اهمل واجبات دينهِ فلم يجد في تعاليم الدين دواء لدائهِ . ومن سوء حظهِ انَّ بعض زعماء الفتن كانوا زوَّدوهُ بكتب جان جاك روسّو وڤلتار وكُندُرسه فكان يقرأها حيناً بعد حين ليبعث في قلبهِ خواطر الكفر ويشحذ شفرة الحقد والبغض لكل سلطة شرعية ويؤجج نار المطامع لدفنة اهل الثروة . فكانت تلك الاهواء تنازع قلبهُ وتهيج سواكن عواطفهِ فيطمح بنظرهِ الى الترفُّع ويرغب في التبجُّح

وفي تلك الاثناء قام على فرنسة ذلك العاهل الشهير بل السلطان الجبّار نابوليون الاوَّل ففتح الفتوحات وقهر الممالك حتى طبَّق اسمهُ انحاء المعمور . فكان سيمون يسمع اخبارهُ ويطالع بكل رغبة تفاصيل فتوحاتهِ فتزيد مطامعهُ في الدنيا وغناها ورفعتها وتلوح لهُ بوارق الامل ليخرج من خمولهِ ويحصل على ما يؤهلهُ للمناصب الشريفة والرتب المنيفة لاسيما انهُ رأى نابوليون في اول نهضتهِ وخدم معهُ في الجندية في فرقة واحدة . فكان يظنّ انهُ لو جدَّ مثلهُ لوجد

فكانت تلك الافكار تتغلب على قلب السكاف حتى لم يمكنهُ ان يحصرها في

نفسهِ بل كان يردّدها على مسامع بعض الصَّنَعة والمحترفين مثلهُ فاخذ هؤلاء يجتمعون عنده فيهوّسونهُ طمعاً في دراهمهِ ثم يسوقونهُ الى الحانات ليبتاع لهم خمرًا على نفقتهِ فيشربون نخبهُ ويتمنّون لهُ تحقيق آمالهِ

*

في اواسط حزيران من السنة ١٨١١ كان نابوليون عاد الى باريس حاضرة مملكتهِ ظافرًا ممجّدًا اذ كادت كل دول اوربّة تعنو لسلطتهِ وتخرّ امامهُ على الاقدام. وكانت الامبراطورة ماري لويزة قرينتهُ اولدت لهُ ابنًا بنى عليهِ كل آمالهِ فدعاهُ ملك رومية ثم نوى اكرامًا للمولود الجديد ان يُشيّد لهُ قصرًا فاخمًا يكون اهلًا بجلالهِ فدعا بالمهندسين وصرّح لهم عن نيّتهِ وعهد اليهم ان يختاروا لذلك الاثر موقعًا مناسبًا لهُ ولا يدّخروا وسعًا في ان يجعلوا البناء طرفةً من طُرَف الزمان

فما مرَّ على المهندسين ايّام قلائل حتى طافوا كل انحاء باريس وتفقّدوا احياءها فلم يجدوا مقامًا اجدر بالاثر المقصود من الربوة التي عليها كانت دار سيمون السكّاف فعرضوا الامر على نابوليون وساروا في خدمتهِ الى المكان ليماينهُ بنفسهِ ويصادق على اختيارهم. فلمَّا رقي الأكمة ورأى المنظر الجميل الذي تمتدُّ اليهِ الابصار على اطراف باريس من ميدان الجنود المسمّى « شان دي مارس » الى منزل العجزة الذي اقامهُ لويس الرابع عشر لجرحى الحروب وعجزة الجيش. فُسُرّ بذلك المشهد الفتّان وصادق على اختيار المكان ليقع بصر ابنهِ الصغير اذا ترعرع على امّ المدائن فيعرف منذ نعومة اظفارهِ ما ينتظرهُ يومًا من عزّ السلطة وسموّ المقام

وفي غد ذلك اليوم جاءت فئة من المهندسين الى المحلّ المعيّن وشرعوا في اخذ رسمهِ طولًا وعرضًا وقاسوا جوانبهُ ونصبوا الرايات الخضراء دلالةً على وجهة البناء ونواحيهِ وكانت دار سيمون داخلةً في حيّز القصر المنويّ. فاستبشر السكّاف بتلك الاعلام وأمّل منها خيرًا

فجاءهُ بعد يومين امرٌ من حاكم مدينة باريس بأن يذهب الى مجلس البلديّة. فلبّى الامر مسرعًا ودخل على الحاكم الذي اعلمهُ بأنَّ جلالة الامبراطور قد عوّل على تشييد قصر لوليّ عهدهِ في المكان المجاور لدارهِ وانهُ يريد ان يبتاع منهُ تلك الدار الحقيرة بثمن خمسة آلاف فرنك وهي عشرة اضعاف ما تكلّف في شرائها (لاسيما ان الدراهم

في ذلك العهد كانت تساوي ضعفي ثمنها اليوم) فكاد سيمون يطير فرحاً لهذا النبأ لكنَّهُ كتم سروره عن الحاكم واكتفى بقوله انهُ راضٍ بتلك الصفقة وسوف يوقع على صكّ البيع في اليوم التالي

ثم خرج من المجلس وهو ثمل من فرحه بالمال الموعود وجعل يتنقّل على رفقتهِ الصّنعة ويخبرهم بثروتهِ ويتغطرس امامهم ويتجبَّر ويرى نفسهُ عمّا قليل سيّد عصره فكان رفقة سيمون يهنئونهُ بحسن حظهِ وسعد بختهِ حتى التفت اليه احدهم وقال :

لو كنتُ أياك لما رضيتُ بثمن خمسة آلاف فرنك بل طلبت عشرين الفاً · ألا ترى انَّ الامبراطور لا يمكنهُ ان يستغني عن حانوتك ليقيم قصراً لابنهِ

سمع سيمون هذا القول فنفذ في ذهنهِ وعاد الى دارهِ وهو يردّد بلسانهِ : « عشرين الف فرنك ! » نعم اني سأحصل على هذا المبلغ · ثمَّ انطرح على فراشهِ والذهب يبرق في عينيهِ فلم تكتحلا بسهاد وبقي ليلتهُ يتململ على فراشهِ ويكرّر قولهُ : « لا ارضى الّا بعشرين الف فرنك »

وفي ضُحى اليوم التالي عاد سيمون الى المجلس حيث كان في انتظارهِ كبير المهندسين ليُمضي صكّ البيع · لكنَّهُ اعلن بصوتٍ جهوريّ انه لا يقبل بالثمن الموعود بل يطلب عشرين الف فرنك

فلمّا سمع المهندس كلامه طردهُ من امامهِ وأعلم الحاكم بطمع السكّاف فكاد عُمّال نابوليون يتميّزون غيظاً عليهِ لكنّهم صبروا أياماً رجاء ان يرعوي · فلم يفعل · فرأى اصحاب الامر اخيراً ان يوافقوا سيمون على مطلوبهِ لاحتياجهم للمكان فارسلوا اليه الدراهم وطلبوا منه ان يوقّع على الحجّة

فعرف السكّاف من رجوعهم اليهِ انّهم لا يستغنون عن كوخهِ فردَّهم قائلاً : قد طلبتُ عشرين الف فرنك فلم تؤدُّوها لي بسرعة فانا لا ارضى الآن الّا بضعف هذا الثمن

فاستاء المهندسون من عمل الرجل ايَّ استياء وعزموا على تحوير رسم البناء لينجوا من عَنَت ذلك الطمّيع وباشروا بالعمل ووضعوا الاساس

امّا سيمون فلم يقطع الامل وكان يترقّب المشروع رجاء ان يحصل على مرغوبهِ وهكذا جرى بعد ثلاثة اشهر اذ رأى ارباب العمل انَّ ملك السكّاف يشوّه القصر

ويترع عنهُ شيئاً من هندامهِ فعادوا الى صاحب الكوخ وطلبوا منهُ الدار بالثمن الذي طلبهُ اعني اربعين الفاً

الَّا انَّ شيطان الطمع استفزَّ الرجل وأعمى بصرهُ فزاد في ثمن البيت لعلمهِ بأنهم يحتاجون اليهِ ولو طلب القناطير المقنطرة كما رفضوها عليهِ فأجابهم انهُ لم يعد يرضى باربعين الفاً. فارادوا ان يبيّنوا لهُ سوء فعلهِ وفحش مطامعهِ فلم يسمع لهم حتى بعد ان زادوا لهُ عشرة آلاف فرنك أخرى فقدّموا لهُ خمسين الفاً بدل ارض ما كان احد يدفع لهُ فيها مائتي فرنك

فلمَّا ايسوا من اقناعهِ تركوهُ وذهبوا الى الامبراطور واخبروهُ بما جرى لهم مع ذلك الاسكاف وكانوا كتموا عنهُ الامر قبلًا. فتنمّر الامبراطور غضباً وكاد يرسل شرطاً ليوقفوهُ ويزجّوه في السجن الَّا انهُ اخمد غضبهُ بعد هنيهة ثم قال:

اني لأُوثر ان يُبنى القصر في محلٍ آخر من ان اطاوع هذا الصعلوك فاذهبوا ولا تعودوا تذكرون لي اسمهُ فدعُوهُ يذهب الى لعنة الله وشيّدوا القصر كيفما شئتم

فبلغ الخبر سيمون فلم يضطرب لذلك بل كان يطوف حول البناء صباح مساء ثم يفرك يديهِ قائلًا: ان داري تساوي خمسين الفاً ولا بُدَّ ان احصل منها فوق هذا المبلغ

فمضت الأيام وكان البناء لا يزال يعلو في عنان السماء وسيمون لا يزال ينتظر بُناة القصر ان يأتوهُ ويؤدوا لهُ ما طلب منهم من المال. وكان عند اصحابهِ يفتخر بعملهِ ويُعد نفسهُ كاعظم اغنياء باريس. بل كنت تراهُ يتهامل في شغلهِ بل يخجل من اصطناع الاحذية واصلاح النعال وهو غني عندهُ من المال خمسون الفاً

فعلى ذلك القياس كان يقضي قسماً من الاسبوع في الملاهي ويعاقر السكرات ويدعو اليها رفقتهُ وكان اذا طلبوا منهُ دفع حقّها يدوّنها في الدفاتر على حساب ثمن بيتهِ بل اخذ يفكّر في تشييد منزل عظيم يسكنهُ واهلهُ ويعيش فيهِ بالرخاء وخفض العيش. فبقي على هذه الحال نحو خمسة اشهر وديونهُ تزداد وليس احد من المهندسين يراجعهُ في اشتراء ارضهِ

*

وفي اثناء ذلك استعرت الحرب الروسيَّة فسار نابوليون بجيوشهِ الجرَّارة وأبطلت

اعمال البناء في غيبته اقتصاداً بالمال. فجرى للامبراطور ما جرى من النصرة التي عقبتها الكسرة. وما لبث ان اضطرته الدول الى التنازل عن الملك

فكان سيمون السكّاف يتتبع تلك الحوادث الخطيرة وكلُّ فكره في بيع داره للامبراطور ليُدخلها في بناء القصر المشيَّد لابنهِ. فلمَّا عرف ما صارت اليهِ امور فرنسة من التقهقر شعر بانَّ احوالهُ ايضاً اخذت بالانقلاب وكوكبهُ بالاحتجاب فسار في احد الأيام الى حاكم باريس باسم الامبراطور وقال لهُ: اني قد فكَّرتُ في امر داري التي طلبها مني المهندسون فاني راضٍ بالثمن الذي عرضوهُ عليَّ اعني خمسين الف فرنك »

وكان الحاكم الذي دخل اليهِ سيمون غير العامل الاوَّل الذي عرفهُ سابقاً فسمع خطابهُ وهو لا يدري من الامر شيئاً فاجابهُ انَّ احوال الامبراطور لم تعد تسمح لهُ بمواصلة العمل ولا بُدَّ من انتظارهِ ريثما تنتظم الامور ويعود السلام

فكان لهذا الكلام اسوأ وقع على قلب السكّاف فعاد الى بيتهِ بخفَّي حنين. ثم انثنى بعد ذلك باسبوعين راجعاً الى مواجهة الحاكم فلم يرضَ باستقبالهِ. فأخذ يكتب العاريض ويكرّر المطاليب فلا احد يجيبهُ عنها فصار يعضُّ البنان ندماً على ما فاتهُ من الفرصة. لكنهُ تجلَّد صابراً لبلائهِ الى أن سمع يوماً صوت المدافع تدوي في باريس فأُخبر بان نابوليون كرَّ راجعاً من جزيرة إلبه وضبط ثانيةً ازمَّة التدبير

فعاد الى السكّاف أملهُ وانتعش قلبهُ وظنَّ انهُ يحظى عمَّا قليل بالمبلغ الموعود وبعد ثلاثة أيام اسرع الى حاكم جديد ولَّاهُ نابوليون على المدينة وأكَّد لهُ انهُ مستعدٌ ان يهب دارهُ الامبراطور حتى بلا ثمن لو اراد. فطيَّب الحاكم قلبهُ ووعدهُ خيراً وقال لهُ انَّ نابوليون سوف ينجز بناء القصر قريباً وسيعطيهِ في حقّ الدار ستين الفاً بل وثمانين ايضاً ان شاء الله. فكان لكلام الحاكم تأثير عظيم في قلب سيمون كاد يغيب لهُ عن الحواسّ فخرج يصرخ بملء فيهِ: «فليحيَ الامبراطور»

وكانت الأيام التالية لهذه المواجهة احلى في جنانهِ من شهد العسل لا يبرح من فكرهِ ذكر الثمانين الفاً فبنى عليها الآمال الطيّبة وحسبها في كيسهِ لا محالة فكنت تراهُ ينفخ نفسهُ ويعامل رفقتهُ كأحد الذوات ويعدّد ما لهُ من المآثر الى ان اكتشف لأجدادهِ اعمالاً خطيرة في التاريخ. وكان يذهب الى ثكنة العسكر فيختلط بالجند

ويشدّد عزائمهم على خدمة الامبراطور وتضحية نفوسهم لنصرتهِ. فكانوا يضحكون منهُ ويقتنصون دريهماتهِ ليشربوا نخب نابوليون

على انَّ عودة الامبراطور الى باريس لم تكن الَّا سحابة صيف وما عتَّمت الدول الاوربيَّة المتحالفة ان سارت بخيلها ورجلها الى محاربة نابوليون فغلبتهُ عند قرية واترلو في بلجكة واوردت جيوشهُ موارد لا صَدَرَ لها. فاضطرَّ ذلك الجبَّار الى ان يستسلم لاعدائهِ فارسلتهُ انكلترة اسيرًا الى جزيرة بعيدة تُدعى سانت هيلانة وعادت سلالة بوربون الى تدبير الامور في فرنسة

فكل هذه الاخبار توالت على مسامع السكَّاف سيمون فاورثتهُ اولًا الهموم واكسفت بالهُ. ولمَّا رأى انهُ لم يعُد لكسرهِ جبر هُدَّ ركنهُ وفُتَّ عضدهُ وكان يطيل النظر الى ابنية القصر لعلَّ ملك فرنسة الجديد يُنجزها فيحتلُّها هو او يُسكنها بعضًا من اسرتهِ فكان لا يرى فيها صافرًا حتى اخذ العشب ينبت في عرصاتها

فعزم على ان يراجه اصحاب الدوائر فيعرض عليهم دارهُ ليبتاعوها وأكَّد لهم انهُ يكتفي بخمسين الفًا. فما ادَّى ذلك الى نتيجة ثم عاد ثانيةً وثالثةً وخفض المبلغ الى اربعين الفًا ثم الى ثلاثين فكان جواب العمال ان الحكومة ليست في حاجة اليها. فظنَّ انهُ اذا انقص تلك القيمة الى عشرين الفًا ينال المرغوب فضاعت اتعابهُ سدى حتى انهُ لم ينل الثمن الاوَّل الذي كان حاكم باريس تبرَّع بهِ عليهِ اي خمسة آلاف فرنك

وكانت الديون في تلك المدَّة قد تفاقمت وثقلت على اعتاقهِ فلم يعرف كيف ينجو من غرمائهِ. امَّا السكافة فكان أهملها منذ سنتين أملًا بما ينتظرهُ من الربح المضمون فلم تعُد يداهُ تطاوعانه على الشغل فضلًا عن انقطاع الزبائن عنهُ. فغلب عليهِ وعلى عائلتهِ ضنك العيش فمدَّ يدهُ الى رفقتهِ فابتعدوا عنهُ حتى اظلمت الدنيا في عينيهِ ولم يرَ وجهًا للخلاص من بؤسهِ الَّا بان يبيع الدار وما يلحق بها مع ادوات حرفتهِ بمئة وخمسين فرنكًا ثم توارى عن العيان لئلَّا يشعر بهِ غرماؤهُ فيزجُّوهُ في الحبس ليؤدّي ما عليهِ من المال

عاش ذلك المنكود الحظّ هو وعيلتهُ بثمن دارهِ عدَّة اشهر انكد عيشةٍ. وكان اذا سدل الليل استارهُ يقوم مستخفيًا فيأتي الى نواحي حانوتهِ فيطوف حول قصر ملك رومية فيتذكر الثروة التي كادت تُسعد حياتهُ فيتأسف ويتلهَّف لكن لات حين ندامة

وفي صباح احد ايام شباط من السنة ١٨١٦ وجد الشرط عند لحف اكمة تروكاديرو رجلاً رثّ الهيئة ممتقع اللون مُلقًى على الحضيض دون حراك فظنّوهُ ميتًا الّا انهم رأوهُ بعد قليل يتحرّك ثم رأرأ بعينيهِ وطلب اين قصرهُ ثم غلب عليهِ الهذيان فكان يخبط ويخلط ويذكر ما لهُ من الغنى الواسع. فعرف الشرط بانّهُ مُصاب بشعوره فنقلوهُ الى مستشفى المجانين. وعرفهُ بعض النظّار فأعلموا الاطبّاء بحالهِ. فجعلهُ هؤلاء عبرةً لابحاثهم ودقّقوا النظر في جنونهِ طول مدّة اقامتهِ في ذلك المأوى اعني الى سنة وفاتهِ في كانون ٢ من السنة ١٨٤٦ فبنوا عليهِ ملحوظات شتى

(قلنا) انّ اطبّاء الروح كانوا احرى بدرس هذا الداء في ذلك المصاب المنوّه بهِ فيبيّنوا لمن ابتُلي بالطمع ما ينالهُ من الوجع. فبهذا البئيس قد صحّ قول الحكيم: من لم يقنع بالقليل لم يكتفِ بالكثير. ونعم ما قال الشاعر:

افادتني القناعةُ كلَّ خيرٍ ... وما عزٌّ أعزُّ من القناعهْ
فأجعلُها لنفسي رأس مالٍ ... وآخذُ بعدها التقوى بضاعهْ

موتمران دينيَّان في عاصمة الانكليز

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان استحقَّ عصرنا بان يُدعى عصر العلوم والمعارف فيحقُّ لهُ ايضاً بان يُسمَّى بعهد المؤتمرات. لانَّ اهل زماننا قد ادركوا بالاختبار انَّ الاعمال العظيمة لا تقوم الّا بالاتحاد وبجمع القوى. وليس اتحاد الّا بالتقرُّب وتبادل الافكار. وهذا ما قصدهُ ارباب الدُّول واصحاب العمل بعقد المؤتمرات ان يضمّوا انوار العقول الى بعضها فتتمهَّد بذلك الامور وتنكشف الشبهات وتزول المشاكل

وقد تعدَّدت هذه المؤتمرات الى حدّ بالغ فمنها للسياسة ومنها للعلوم ومنها للمشروعات الخيريَّة. ولو سردنا ما عُقد منها في هذا العام وحدهُ لأنافت على العشرين مؤتمرًا وقد ذكرنا منها في المشرق (ص ٧٣٧) اخبار مؤتمرين توفّقنا الى حضورهما فبيّنّا ما نجم عنهما من الفوائد لتقدُّم العلوم التاريخيَّة والآداب الشرقيَّة

وممّا استوقف ابصار ذوي العبرة في السنة الجارية مؤتمران دينيّان عُقدا في عاصمة الممالك البريطانيّة وصار لكليهما شهرة واسعة فلم تكد تخلو جريدة مهمّة من ذكرهما وايضاح شأنهما وتفصيل اعمالهما. واوّل هذين المؤتمرين قام به الاكليروس الانكليكاني في اواسط حزيران للبحث في شؤون الكنائس البروتستانيّة الانكليزيّة. وامّا الثاني فكان مؤتمرًا كاثوليكيًّا وأحد المؤتمرات القربانيّة العموميّة التي يُدعى اليها الكاثوليك من كل البلاد للمفاوضة في الامور المنوطة بأعظم اسرار الدين المسيحي اعني سرّ القربان الاقدس قطب الحياة الروحيّة في كنيسة المسيح ومركز دائرتها. فقد رأينا ان نلخّص هنا اخبار المؤتمرين ليقف الشرقيون على نتائجهما ويروا بالمقابلة ما تقصده كل كنيسة من هذه الاجتماعات وما تستفيدهُ لخير الرعايا وترقي العمران وانماء روح الدين

١ مؤتمر الانكليكان

هذا اول مؤتمر عام أُقيم في لندن للنظر في الشؤون الدينيّة واحوال الكنائس الانكليكانيّة. وقد كان زعماء الدين قبل ذلك عقدوا مجتمعات مذهبيّة لا يحضرها غير الاكليروس البروتستاني دون العالميين. وآخر اجتماع جرى من هذا الصنف انّما جرى سنة ١٨٨٨ في قصر لَمبث (Lambeth) حضرهُ ١٤٥ اسقفًا مع السيّدات نسائهم

فبعد عشرين سنةً افتُتح هذا المؤتمر للكنائس الانكليكانية في ١٥ حزيران في كنيسة وَسْتمِنْستر الكاتدرائيّة بحضور سبعة آلاف من المندوبين الذين قدموا من كل انحاء البلاد الانكليزيّة ليشتركوا في اعماله. والمندوبون منهم اكليريكيّون ومنهم عالميون ومنهم رجال ومنهم نساء. وهم يمثلون بلادًا عديدة وشيعًا متفرّقة لا يجمعها في الآداب الدينيّة والمعتقدات الا مجرّد الاسم حتى انّ كثيرين منهم لم يرضوا ولا باسم المؤتمر فلم يصادقوا على تسميته بمؤتمر الانكليكان او الكنائس الانكليكانيّة

وكانت الدولة الانكليزيّة اوفدت من قبلها رأس وزرائها المستر أسكيث (Asquith) فقام في الجلسة الافتتاحيّة ورحّب بالوفود ثم ذكّرهم بما يُبنى على مجتمعهم من الآمال الطيّبة ليزيلوا الشرور التي تنقض اركان الهيئة الاجتماعيّة ويرشدوا الناس الى الوسائل التي تؤدي بهم الى الاتحاد والترقي. ولا غرو انّ للدين قدرةً على ذلك تفوق على غيره وتضمن له بالنجاح

وفي غد ذلك اليوم باشر المندوبون بالعمل وكانوا قسموا تسهيلًا للابحاث وفود المؤتمر الى سبعة اقسام عُهد الى كل قسم منها مباحث خصوصيَّة ترجع الى اربعة ابواب وهي: ١ً المعتقدات الدينيَّة في الكنيسة. ٢ً النظام الكنسي والآداب الكنسيَّة. ٣ً الكنيسة والهيئة الاجتماعيَّة. ٤ً الكنيسة بإزاء الملل والاديان. وها نحن نلخّص هنا بعض الابحاث التي دارت بين المؤتمرين في تلك المواد من ١٦ حزيران الى ٢٤ منهُ

١ (المعتقدات الدينيَّة) يعلم الكاثوليك ان الاعتقادات الدينيَّة عند البروتستانت تختلف اختلافًا عظيمًا اذ ليس عندهم من يحدّد القضايا كما في الكنيسة الكاثوليكيَّة ويرذل الضلال ويقرّر ما ظهرت مرافقتهُ لتعليم الاسفار المقدَّسة والتقليد الرسولي. ومن ثم تزداد كلّ يوم الاحزاب الدينيَّة وتتباين العقائد ايّ تباين بين البروتستانت. وعليهِ لم يجسر اصحاب هذا القسم من المؤتمر ان يخوضوا كثيرًا في الابحاث الاعتقاديَّة لا بل ودّوا لو نُفيت من لائحة المؤتمر لئلّا تكون حجر عثرة بينهم. بيد انَّ البعض ألحّوا على رصفائهم حتى سمحوا لهم بالمداولة في الوحي وفي الاسفار المقدَّسة. فنزل في هذا الميدان فئة من العلماء الانكليكان بعضهم اميركيون وبعضهم انكليز فدافع رئيس كهنة كنتربري واس (Wace) عن صحَّة الوحي والاسفار المنزلة ووافقهُ على رأيهِ القانونيّ سنداي (Sanday) من اساتذة اكسفرد لكنَّ فئة أُخرى اسرعت لنقض اقوال السابقين كالاساتذة كنّت (Kennett) وبركت (Burkitt) من كمبردج. وبرناي (Burney) من اكسفرد فانكروا الوحي وانزلوا الكتب المقدَّسة منزلة التآليف البشريَّة القابلة للغلط. فحمي وطيس الجدال بين الفريقين. وكانت نتيجة النزاع انَّ اسقف كنتربري المتقدّم في هذا النادي سمح لكلّ منهُ ان يدافع عن رأيهِ كما يشاء. فكان لهذا الحكم اسوأ وقع في قلوب البروتستانت الذين يعدّون التوراة مُنزلةً ويعتبرون اقوالها من كلام الله الذي لا ريب فيهِ. وناهيك بهذا الجدال مثلًا عن تعدُّد الآراء وتناقضها في الكنيسة الانكليكانية فيُسمَح للواحد ان يثبت ما ينكرهُ الآخر ليس فقط في بعض الاعراض والمسائل الثانويَّة ولكن في الامور الجوهريَّة والابحاث الاساسيَّة كالوحي وصحَّة الاسفار الالهيَّة.

٢ (النظام الكنسيّ والآداب الكنسيَّة) كان لهذا الفرع مجال واسع اذ نيطت بهِ ابحاث متعدّدة. فمن جملة المباحث التي عُني بفحصها الحضور مسألة المدارس

الاكليريكيّة وتهذيب المترشّحين للكهنوت الانكليكاني سواء كان في انكلترة او في المالك الاجنبيّة. وقد تأسّف الكثيرون على قلّة الذين يطلبون الدعوة الاكليريكية بتراعة حبًا بالخير العمومي ليس لغايات شخصيّة. ثم بحثوا لهذا الداء دواء لعلّهم يجدوا سدًا للخلل وخصوصًا في الرسالات الاجنبيّة حيث لا يجدون غير الأُجراء. فظنّوا ان الامر يمكن تلافيه بزيادة اهتمام في تعليم المرشّحين لخدمة الدين. لكنّهم لم يتفقوا على طرائق هــذا التعليم أيكون دينيًا محضًا او يكون علميًا او مختلطًا وما هي التعاليم الدينيّة التي ينبغي تلقينها هؤلاء الطلبة ليعلّموها المؤمنين فتضاربت الآراء دون نتيجة

ومن المسائل التي تعود الى النظام الكنسي وبحث فيها المؤتمرون مسألة الاسقفيّة هل للاساقفة في الكنيسة رتبة لازمة لازبة انشأها السيّد المسيح او هي رتبة ثانويّة يمكن المؤمنين ان يستغنوا عنها. فقرئت رسالة لاحد علماء كمبردج المعدودين الاستاذ غواتكين (Gwatkin) بيّن فيها ما يرتئيه بعض علماء الانكليكان في شأن الاسقفيّة الذين ينكرون ان المسيح انشأ هذه الدرجة ويندّدون باساقفة انكلترة وسيرتهم العالميّة ويدعونهم عمّالًا للدولة ليس للمسيح. فكان هــذا القول داعيًا لجدال عنيف بين الجمهور فمنهم من قرّره ومنهم من انكره. وقال بعضهم اذا صحّ هذا القول أُلغيت بسببهِ الدرجات الكنسيّة من الكنيسة الانكليكانيّة واصبحت هــذه الكنيسة كمثل شيع اخرى من البروتستانت. امّا نتيجة البحث فبقيت مبهمة لم يمكن لرؤساء الجمع ان يحدّدوا فيها شيئًا

وقد وقع بين الندوبين خلاف آخر بخصوص اتحادهم مع الشيع البروتستانيّة غير الانكليكانيّة كاللوترانيّة مثلًا والكلوينيّة فقام شعبٌ منهم يدافعون عن فصل الكنيسة الانكليكانيّة عمّا سواها لان خواصها كما زعموا مخالفة لخواصّ تلك الكنائس فاكليروسها وطقوسها وتعاليمها تفترق عن تلك الكنائس فلا تحسن ان تمتزج بهـا. لكنّ قسمًا آخر من اهــل المؤتمر لم يوافقوا هؤلاء وفنّدوا مزاعمهم وكان من جملتهم اسقف جبل طارق الذي أثبت ان كنيسة المسيح لا يمكنها ان تنحصر في أمّة واحدة بل تشمل كل البلاد التي راجت فيها مبادئ الاصلاح البروتستاني رغمًا عن الاختلافات التي طرأت على احوال الكنيسة وتعاليمها في تلك البلاد

ومن المطالب التي عُرضت على اصحاب هذا القسم التعليمي مطلبٌ آخر احبّ

كثيرون لو ضُرب عنهُ الصفح لئلّا يضحي عقبةً في سبيل انصار الدين. فسألت فئة من اعضاء المؤتمر ان تُحدَّد المعتقدات الجوهريَّة التي يجب على أتباع الكنيسة الانكليكانيَّة ان يؤمنوا بها والعقائد الثانويَّة التي يمكن الاعضاء عنها بل يجوز جحودها دون ان يُفرز القائلون بها عن جسم الكنيسة. فكان هذا البحث كبركان ثار انفجر وكاد يلتهم كل شيء فيشتّت شمل المجتمعين. فنهم من كان يزعم انَّ المسيح لم يحتم على تلاميذه معتقدًا صريحًا وانَّما يطلب فقط الايمان بشخصهِ الكريم ليس الّا. ومنهم من ارتأى انَّ العقائد ليست من جوهر الايمان وانَّما الاعمال الصالحة هي التي تقرّبنا الى المسيح. وذهب غيرهم انَّ الكتاب المقدَّس هو القاعدة الوحيدة للايمان دون تعليم آخر. وطلب غيرهم انْ يوسّع ذلك النطاق ويُدخل في الجوهريَّات مع الكتاب المقدَّس دستور الايمان والاسرار والنظام الكنسيّ. وناصب هؤلاء قوم آخرون اكثرهم اميريكيُّون فرأوا انَّ هذه لَمن النوافل المستعارة من الكنيسة الرومانيَّة ومن ثمَّ لا يقبلون بها. فتشعَّبت الآراء وعلا الضجيج وخاف الاساقفة الحضور ان ترتبك الامور ويختلط الحابل بالنابل فسعوا باصلاح ذات البين ولم يتَّفقوا على نتيجة

وقام بعض المندوبين ممَّن ينكرون لزوم الدرجات الكنسيَّة فطلبوا تعزيز سلطة العالميين في تدبير الكنيسة ونظر اوقافها والاهتمام بكل زمنيَّاتها حتى اذا فُصلت الكنيسة عن الحكومة في مجلس الدولة بقيت الكنيسة ثابتةً بمساعدة العالميين. ولم يكتفِ البعض بذلك بل طلبوا التصويت للعالميين في انتخاب الاكليروس ولاسيَّما تعيين الاساقفة. وزاد قوم من ممثلي الحكومة على هذه الاقتراحات بأن يُقام من قبل الدولة بعض العالميين ليتفقَّدوا اعمال خدمة الكنيسة ويصلحوها. فلم يرضَ بهذه المطاليب معظم الاكليريكيين لئلَّا تستعبد الحكومة ارباب الدين كما يجري الامر في روسية

وممَّا الحَّ عليهِ بعض الحضور انشاء جمعيَّات نسائيَّة لبعض المشروعات واطرأوا في مديح « الشمَّاسات » و« الاخوات » اللواتي يساعدن في المساعي الخيريَّة كالمستشفيات والياتم وتعليم الفتيات وطلبوا ان يُزاد في عددهنَّ وذكروا الراهبات الكاثوليكيات وما يؤدّينَ من الخدم لكنيستهنَّ. فكان لكلامهِ الوقع المحمود. لكنَّهُ نسي انَّ زعماء الشيعة البروتستانيَّة في انكلترة مثل كرنمر وكروموبل ألغوا كلَّ الرهبانيَّات بغضًا بالكنيسة الكاثوليكيَّة وهم اليوم يقرُّون بنافعها ويحذون بالكاثوليك في تجديدها.

فيا لها من كنائس تتاونّ كأبي قلمون فتعظِّم اليوم ما رذلتهُ امس

ومن المساعي المشكورة التي نالت رضى اصحاب المؤتمر بخصوص الآداب الكنسيَّة تصويبهم سهام اللوم نحو الطّلاق واتّفق كثيرون على ان لا يحضروا باسم الكنيسة اكليل الذين طلّقوا نساءهم مها قرّرهُ من هذا القبيل القانون المدنيّ لأنهم رأوا في الطلاق بابًا واسعًا لشتات العيال وانقطاع حبل المجتمع الانسانيّ . وقد انتصب خطيبًا احد المندوبين الاميركيين فدافع عن كرامة الزواج وقبّح تصرُّف الذين يجعلون حدودًا للنسل البشري استنكافًا من واجبات التربية

وكذلك صادق معظم المؤتمرين على مشروع حسن وهو عيالة العَجَزة من الاكليريكيين في شيخوختهم اذ لا يليق بالشعب ان يهمل الذين خدموا نفوسهم وقاموا بمصالحهم الدينيَّة

٣ (الكنيسة والهيئة الاجتماعيَّة) لم يجد المؤتمر الانكليكاني في هذا الباب المشاكل التي لقيها في تحديد المعتقدات وتنظيم الآداب الكنسيَّة وعليهِ لقيت ابحاث هذا الفريق قبولًا واستحسانًا . واوَّل هذه الابحاث التي خاضوا فيها تهذيب الشبيبة فان العدد الاوفر من المؤتمرين قرَّر المحافظة على التعليم الدينيّ « اذ لولاهُ لنُسف اساس المدنيَّة نسفًا وعاد الشعب بعد سنين قليلة الى الهمجيَّة وعيشة المتوحشين » . وهو لعمري كلام حريّ بالاعتبار نطلب من بعض جهَّال بلادنا ان يتأملوهُ قبل ان يدرجوا في الجرائد الوطنيَّة مقالات في نفي الدين من المدارس

ونثني ايضًا كل الثناء على مساعي هذا المؤتمر الانكليكاني في بحثهِ عن احوال العَمَلة لصيانة حقوقهم ونفي الظلم عنهم والسعي بالتوفيق بينهم وبين ارباب المعامل او وُلاة الاشغال واتّخاذ الوسائل لمنع الاعتصابات ولمساعدة العملة في ضيقهم واسقامهم

وقد أقام أفراد من المندوبين الحجَّة على بعض قوانين الدولة التي لم تجعل حدًّا لمطامع فئة من الاغنياء الذين يحتكرون الاموال احتكارًا فظيعًا بينما ترى الالوف المؤلفة من الفقراء يموتون جوعًا . وبيانًا لذلك قدَّم المستر سمربل (Summerbell) جدول تقسيم الثروة في انكلترة فاوضح انَّ عدد اهل بريطانية العظمى يبلغ ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ بينهم ٢٠,٠٠٠,١٠٠ في حالة الفقر يعيشون من شغلهم اليومي و ١٢,٠٠٠,٠٠٠ في الفقر المدقع تودي بهم المجاعة . فلا بُدَّ للدولة من وضع سُنن

عادلة لاستدراك هذا النقص فيكون بعض التوازن بين الطبقات العليا والطبقات السُّفلى. وكذلك قد ازداد عدد العَطَلة الذين لا يجدون شغلاً يرتزقون منهُ فبلغ ألفَ الفٍ. فان بقي هؤلاء على هذه الحالة ماتوا وعيالهم جوعاً او اخلدوا الى الثورات والفتن والاعتصابات. وهو داء يستدعي دواء عاجلاً قبل ان ينقطع الرجاء من شفائهِ

ثم قام بعض الخطباء وطلبوا ان يسعى اهل المؤتمر في ابطال المراهنات التي تجري في مراسح الخيل لأنها اصبحت خطراً على المدنية الاجتماعية وهي من اقبح المقامرات ولا يزال عدد المراهنين في ازدياد متواصل حتى بلغوا ثلاثين الفاً. واحتج غيرهم على مبيع الافيون والمشروبات الروحيَّة في المستعمرات الانكليزيَّة وخصوصاً في الهند لانَّ هذه المتاجرة عارٌ على امة متمدنة من شأنها ان تسعى في تأديب رعاياها وتبعث بهم الى الترقي والاصلاح

فكلُّ هذه الابحاث الاجتماعيَّة والخطب العمرانيَّة قد شرَّفت مؤتمر الانكليكان وما ينقصها الَّا ان تخرج الى عالم الوجود وحيّز العمل

٤ (الكنيسة الانكليكانيَّة بازاء بقيَّة الاديان) انَّ الكنيسة الانكليكانيَّة قبل مائة سنة كانت منحصرةً ضمن حدودها الطبيعيَّة لا تطلب الخروج منها الَّا انَّها رأت كنيسة رومية تسعى في توسيع نطاقها وتُرسل الى اقاصي العالم ابناءها ليدعوا الى النصرانيَّة الامم الوثنيَّة والطوائف المنفصلة فنجحت ايَّ نجاح. فمولت الرسالات البروتستانيَّة على مجاراتها في هذا الميدان واخذت مذ ذاك الحين تنتشر وتمتدّ وتناصب الرسالات الكاثوليكيَّة وتصرف القناطير المقنطرة لتنفيذ رغائبها وانماء أتباعها. لكنَّ مساعيها لم تأتِ بالنتيجة المأمولة كما اقرَّ بذلك اصحابها بخلاف الرسالات الكاثوليكيَّة التي تزدهر حيثما يُنشئها المرسلون. ومن ثمَّ تباحث اصحاب مؤتمر لندن في الوسائل لاستدراك الخلل بانشاء المدارس في بلاد الوثنيين ونشر الآداب الانجيليَّة بينهم. وممَّا صادقوا عليهِ ان يسعى المرسلون الانكليكان بتربية احداث من الوطنيّين وتهذيبهم وتقليدهم الكهنوت والاسقفيَّة نفسها ليجتذبوا مواطنيهم الى الانجيل

ووجَّه الانكليكان نظرهم الى كنائس النصرانيَّة المنفصلة عن رومية كالروم والنساطرة واليعاقبة لعلَّهم يقفون على وسائل التقرُّب منها. ومعلوم انَّ اساقفة البروتستانت الانكليز اوفدوا غير مرَّة وفوداً الى الفنار ليوثقوا بينهم وبين الروم عُرى التودُّد لكنَّ

تلك المساعي ذهبت ادراج الرياح. ولمَّا عاد المؤتمرون الى النظر في هذا الامر قام اللورد هاليفاكس وبيَّن للحضور انَّ التقرُّب من رومية الزم وأحوج لكنيسة انكلترة من سواها لحسن نظام الكنيسة الرومانيَّة ونفوذ كلمتها وارتباط كل اقسامها برأسها الحبر الاعظم. ثم اوضح لاهل المؤتمر انَّ كثيرين من الانكليكان يتوهَّمون في جانب رومية اوهاماً لا حقيقة لها فاذا تقرَّبوا منها ربَّما زالت تلك المخاوف الباطلة وتحقَّقوا انَّ تعاليم الكاثوليك ليست كما يتخيَّلونها. فبالتقرُّب ومبادلة الافكار تنكشف تلك الاوهام ولا يبقى داعٍ للنفور والخصام. حقَّق الله تلك الامانيّ

هذه خلاصة اعمال مؤتمر لندن الذي خُتم بحفلة عظيمة في كنيسة مار بولس في ٢٤ حزيران وفي الختام قدَّم الاساقفة لوائح الحسنات التي تبرَّع بها رعاياهم للمشروعات الدينيَّة وكتبوا في ذلك صكوكاً وضعوها على هيكل الكنيسة الكبير فكان مجموعها ٣٣٣,٢٠٨ جنيه اعني ٨,٣٣٠,٢٠٠ فرنك. وناهيك بكرم المحسنين دليلًا على تعلُّقهم بالدين ورغبتهم في تعزيز شؤون كنيستهم

وكانت عاقبة هذا المؤتمر انه بيَّن لكل ذي عين ما في كنيسة انكلترة من جرائم الشقاق والانحلال كيف لا وهي جسم بلا رأس لا يقرُّ لاتيان ابنائها قرار ويذهبون المذاهب المتباينة في التعاليم والمعتقدات والاسرار والكتب المقدَّسة وقد قال السيِّد المسيح (مرقس ٣: ٢٥): «كل بيت ينقسم على نفسهِ لا يمكنهُ ان يثبت»

هذا وكان بودّنا ان نلحق بذكر المؤتمر وصف مجتمع اساقفة الانكليكان الذي لا يحضرهُ غيرهم جعلوهُ كتتمَّة للمؤتمر السابق ويخوضوا فيهِ عن الامور الدينيَّة التي تداول فيها اهلهُ ليقرّروا ما يجب قبولهُ وما ينبغي رفضهُ. وكان عدد الاساقفة المجتمعين ٢٤٢ عقدوا جلساتهم في قصر لمبث. وقد اطَّلعنا على اعمال هذا المجمع فاذا هي تتحايد غاية امكانها البحث عن المعتقدات وتقرير الجوهريَّات وتثبت الادبيَّات كما جرى في المؤتمر فلا نرى حاجة الى التكرار

٣ٌ المؤتمر القربانيّ

لم يمرَّ على هذا المجمع الانكليكانيّ ثلاثة اشهر حتى عُقد مجمع آخر كاثوليكي في حاضرة بريطانية العظمى ألا وهو المجمع القربانيّ

في سنة ١٨٨١ فكّر قوم من مشاهير الافرنسيين ذوي الدين المكين والغيرة الملتهبة في اقامة موتمر عمومي يُدعى اليهِ علماء الكاثوليك من الاكليروس والعالميين ليتداولوا في المباحث المختصّة بسرّ اسرار الكنيسة وركنها الثابت ومركز حياتها في هذه الدار الفانية فجرى ذلك الموتمر الاوّل في مدينة ليل من اعمال فرنسة بحفلة حافلة توارد اليها نخبة من ائمة الكاثوليك

ومذ ذاك الحين قد تتابعت تلك الاجتماعات في حواضر اوربّة . ويذكر القرّاء المؤتمر الذي عُقد في القدس الشريف سنة ١٨٩٢ وما جرى فيهِ من الاحتفالات الجليلة التي تصدّر فيها الكردينال لنجينو واحدقت بهِ البطاركة والاساقفة الشرقيون والغربيون فكان لتلك المظاهر احسن وقع في القلوب

وهذه المؤتمرات تتكرّر سنةً بعد سنة . فكان المؤتمر الثامن عشر في العام المنصرم في مدينة متس تقاطر اليهِ المؤمنون من كلّ الانحاء ورحّبت بلديّة تلك الحاضرة بالمؤتمرين وساعدتهم في كل اعمالهم حتى كان ذلك المجتمع من اخطر واعظم المجالي الدينيّة في هذه السنين الاخيرة

ولمّا نجز ذلك الاحتشاد وبحث اربابهُ عن المكان المناسب للاجتماع التالي ارسل رئيس اساقفة وستمنستر الكاثوليكي السيد بورن (Bourne) الى اللجنة التي تتولّى تدبير هذه المؤتمرات واشار الى لندن كاجدر مكان لعقد المجمع القرباني في سنة ١٩٠٨

اخذ العجب كل من سمع بمقصود السيد بورن وخاف البعض من ان تحول دون مجتمع دينيّ كهذا عقبات كؤودة ومشاكل جمّة في امّ المدائن البروتستانيّة التي منها نُفي سرّ القربان في اواخر القرن السادس عشر واصبحت تقدمة الذبيحة الطاهرة من اعظم الجنايات يُعاقبها زعماء الاصلاح الانكليكانيّ بالقتل والشنق ولا يزال ملوك انكلترة يوم تتويجهم يقسمون قسماً منافياً لهذا المعتقد بغضاً في كنيسة رومية . فيا تُرى لو عاد الكاثوليك وجدّدوا علانيةً في ظهراني المدينة الاحتفالات بتعظيم الافخارستيا أفلا يتصدّى لهم المتعصّبون للاضاليل البروتستانية . وما ادراك أنهم لا يثيرون الفتن على الكثلكة فيصبح المؤتمر داعياً للمظاهرات العدائية

لكنّ الكاثوليك الانكليز قرّروا ملتمسهم واكّدوا للجميع انهُ لا يحصل من هذا المؤتمر الّا كلّ خير لانّ حرّية الاديان في لندن لا تسمح لاحد من المعادين أن يأتي

عا يكدّر خواطر اتباع الكنيسة الرومانية وعددهم في المدينة يُربي على ثلثمائة الف

ولمّا بلغ مسامع الحبر الاعظم ما اتّفق عليه سراة الانكليز وعمدة المجمع القرباني بارك مشروعهم وعيّن احد كبار امراء الكنيسة الكردينال فانوتلّي بان يمثّله في تلك الاعياد الجليلة وآزرهُ ببراءة اودعها ارقّ العبارات وألطفها في مديح بريطانية العظمى

كان موعد المجمع القرباني في ٩ ايلول فاستعدَّ له كاثوليك الانكليز استعدادًا اهلًا بمقامهم وغيرتهم . وهيّئوا لحفلات العيد كنيسة وستمنستر الكاثوليكية التي نجز بناؤها منذ زمن قريب وتُعدّ من آيات البناء المصري (اطلب وصفها وصورتها في المشرق ٥ : ٨٧٧—٨٧٨)

فما حان الوقت المعهود حتى توارد الى العاصمة الانكليزيّة مع عدد لا يُحصى من اعيان الكاثوليك من كل الدول الاوربية خمسمائة من الكهنة و٦٦ اسقفًا و١٤ مطرانًا وخمسة كرادلة يتقدّمهم القاصد الرسولي نيافة الكردينال فانوتلّي . وقد اتوا كلّهم بزيّهم الاكليريكيّة دون ان يلبسوا لبس العالمين كما هو جارٍ حتى اليوم عند الاكليروس الكاثوليكي الاجنبيّ المتوجّه الى انكلترة

ولا نتعرّض لوصف الاستقبال الفخيم الذي صار لممثّل الكرسيّ الرسوليّ عند وصوله الى محطّة لندن وهي المرّة الاولى منذ ثلثمائة سنة عمّن قدم النائب البابويّ ارض انكلترة . فكانت الجماهير المجمهرة تزدحم امام المحطّة وتتسارع الى الشوارع والساحات المجاورة تخالهم في تلاطمهم الامواج المتلاطمة وكلهم عيون شاخصة الى انوار مطالع نيافة القاصد . فلمّا ظهر علت اصوات الهتاف والترحيب فسُمع لها دويّ مهيب

وحضر الاساقفة ووجوه الشعب ورؤساء الجمعيات الكاثوليكيّة وفي مقدّمتهم جاثليق انكلترة والدوق دي نورفلك زعيم الكاثوليك الانكليز فرحّبوا بممثّل قداسة البابا وساروا كلهم به بموكب عظيم بعد ان شكرهم الكردينال على استقبالهم الولائي وذكر لهم ما عهد اليه امام الاحبار من الوكالة ليرأس باسمه هذا المجمع الدينيّ في بلاد تُعدّ اليوم بلاد الحريّة والصدق والتساهل . فصرخ الوف من الحضور « ليعش البابا ليعش صاحب النيافة » . وقد بلغت فخامة ذلك الاستقبال الى حدّ من البهاء والعظمة الى ان قال كثيرون : « انّ الملك نفسهُ لم يرَ قط مثل هذا الاستقبال »

وفي غد ذلك النهار افتُتحت جلسات المجمع في الكنيسة الكاتدرائيّة فاقام رئيس اساقفة باريس قداساً حبريًا غاية في الابهة مع ايقاع الارغن وأنغام الجوقات الموسيقيّة المنظَّمة. وكان كل يوم من أيام المجتمع يقيم الذبيحة احد الكرادلة او احد زعماء الطوائف الشرقيّة بيانًا لأتحاد الجميع في الايمان مع اختلاف الطقوس والرتب الكنسية

امّا المواضيع التي تُليت فيها خطب الخطباء ودار عليها محور كلام المتباحثين فكانت كلها ترمي الى غرض واحد السرّ العجيب الذي وضعهُ ابن الله ليكون هو نفسهُ بلاهوتهِ وناسوتهِ تحت احجاب الخبز والخمر رفيقًا للبشر في منفاهم وقوتًا لنفوسهم وذبيحة عن آثامهم. فمنهم من اعتبر سرّ القربان في ذاتهِ ومنهم من وصفهُ في مفاعيلهِ وذكر بعضهم انتشار عبادتهِ في انكلترة قبل ظهور البدعة البروتستانيّة وبيّن غيرهم الشواهد الطقسيّة والآثار الكتابيّة والاعمال الهندسيّة في الشرق والغرب دلالةً على ايمان قدماء النصارى بهذا السرّ . واعلن الفيكونت لنداف (Llandaff) انَّ قَسَم ملوك انكلترة يوم تتويجهم ضدّ الافخارستيا ينافي معتقد الانكليز منذ دخول النصرانيّة بينهم فضلًا عن كونهِ شتمًا واهانة لأخاص تبعة الدولة. وقد بلغت الخطب والمقالات التي تُليت في هذا المجمع القرباني نحو الثمانين ألقاها اكبر علماء الكنيسة الكاثوليكية وكان عدد وافر من الاكليروس البروتستاني وزعماء الشيع البروتستانية يحضرون هذه الحفلات فيخرجون وألسنتهم تترطّب بالمديح على نظام الكاثوليك واتّفاقهم في المعتقدات وسعة مداركهم وعمق ايمانهم ويثنون على كل ما رأوا وسمعوا. ولا غرو انَّ مثل هذه الحفلات كخميرة في قلوب اولئك الاخوة المنفصلين لا تزال تعمل في قلوبهم حتى تستنير اذهانهم بنور الحقّ. ولذلك ترى كل سنة بل كل اسبوع قومًا من علماء البروتستانت واكليروسهم ينبذون التعاليم البروتستانية ليرتدّوا الى حظيرة الكنيسة المبنيّة على الصخرة البطرسيّة

وتشكّلت ايضًا بعض لجنات كانت غايتها العمل اكثر منها العلم فبحثوا عن اقرب الوسائل لنشر العبادة نحو السرّ القربانيّ وعن التناول المتواتر وعن الشركات القربانيّة وتهذيب الاحداث الذين يخدمون الرتب الدينيّة . وخطب الدكتور دورهْ من ليل في طوافات القربان الاقدس في المدن وعدّد الدكتور بواساري المعجزات

العديدة التي تحدث كل سنة في لورد عند التربيع بسرّ القربان حيث تتوفّر العجائب كما كانت تجري في عهد المسيح لمّا كان ابن الله يشفي كلّ العاهات ويعالج كلّ الاسقام

وكل هذه الخطب عليّةً كانت او عمليّةً كان يحضرها الوفٌ من السامعين وكانت تُلقى خارجاً عن الكنيسة في اكبر معاهد لندن مثل « البرت هال » او « كاكستن هال » وكانت مع سعتها تضيق عن عدد الوافدين الذين كانوا يبلغون الى حد عشرة آلاف فاذا ظهر النائب البابويّ ضجّت تلك الاندية باصوات الهاتفين فرحاً واجلالاً. وكان بعض الكاثوليك يبكون لفرحهم ويقولون: « زه كم اختلفت الامور في لندن منذ نصف قرن. قبل خمسين سنة ما كنّا نمرّ في شوارع المدينة الّا تتناوبنا الاهانات لاجل ديننا واليوم نرى الكنيسة الكاثوليكية ممجّدة معظّمة في قلعة البروتستانتيّة وحصنها »

*

وقد خُتمت هذه الاجتماعات بحفلتين جليلتين قد عملتا في النفوس عملاً لا يمحوهُ منها كرور الأيام

فالحفلة الاولى خُصّت بتلامذة المدارس الكاثوليكيّة وكان عددهم عشرين الفاً اوفدهم رفقتهم من كل جهات انكلترة وسكوتيا وارلندة لينوبوا عنهم في تقدمة فرائض الاكرام للقاصد الرسولي. فلمّا كان يوم السبت ١٢ ايلول مشى اولئك الاحداث بترتيب ونظام في شوارع لندن. ولكل قسم منهم شاراتهُ ولبسهُ الخاصّ وفوق رؤوسهم تخفق الرايات والاعلام الدينيّة والمدنيّة. وكان هؤلاء الصغار من كل طبقات الأمة بينهم اولاد الاغنياء بملابسهم الفاخرة والفقراء بأسمالهم ليكون فقرهم دليلاً للناظرين على عناية الكنيسة باهل الثروة والبائسين على حدّ سواء. وتلقيناً للفقراء بأن لا يخجلوا من فقرهم الذي لا يصدّهم من التقرّب الى ابن الله في سرّ محبّتهِ وهو آثر الفقر على الغنى والى نوأيهِ على الارض المردّدين لقولهِ: الطوبى للمساكين

وكان هؤلاء الاحداث يسيرون وهم يترنّمون بالاغاني التقويّة لاكرام القربان الاقدس فكان كلّ من يشاهدهم في مسيرهم يقفون ويتعجّبون من هذا المنظر الغريب الذي قلّما رأوا مثلهُ في عاصمة انكلترة. وكان القاصد الرسولي واقفاً فوق شرفات الدار الاسقفيّة فمرّ الصغار امامهُ وحيّوهُ بهتافات التهليل والسرور وكان نيافة

الكردينال يردّ لهم السلام ويباركهم بحنوّ ولطف ابوي فلم يتمالك السابلة من ذرف الدموع لدى هذا المشهد المؤثر

ثم دخل ذلك الجمهور من الاطفال في كنيسة وستمنستر فقام جاثليق ارلندة الكردينال لوك (Logue) فألقى عليهم خطبة مناسبة لسنّهم اهتزّت لها ارواحهم وطربت قلوبهم فأجابوهُ شاكرين باصوات منغمة بعبارات الحبّ والرقّة . وكان لتلك الحفلة اي وقع في نفوس كل الحضور وزاد املهم في ترقي الكثلكة في كل جهات انكلترة لحسن تربية شبيبتها ونشوءهم على اصول الدين والتقى

امّا الحفلة الثانية فكان موعدها اليوم التالي اي الاحد الواقع في ١٣ ايلول في عصر النهار . وكان ارباب المجمع نشروا في لائحتهم انهُ يصير في ذلك اليوم طوافٌ عمومي يحمل فيه النائب البابويّ القربان الاقدس في شوارع لندن . وكان الكاثوليك ينتظرون ذلك اليوم بفروغ الصبر ليعلنوا بإيمانهم الحيّ بازاء اخوتهم المنفصلين . غير انَّ بعض المتطرّفين من البروتستانت اظهروا استياءهم من هذا الطواف الذي اعدّوهُ كلامة لتروعهم عن ديانة اجدادهم فطلبوا من الكاثوليك بلسان بعض الجرائد ان يكفّوا عن طوافهم . لكنَّ رؤساء المؤتمر لم يجدوا داعياً لتغيير ما دوّنوهُ في لائحتهم اذ تعهّدوا انهُ لا يحصل من ذلك البتة تشويش للراحة العمومية لاسيما ان حرّية الاديان تسمح لكل الشيع بالطوافات المذهبيّة

فلم يقنع اولئك المتعصّبون بهذا الجواب ولم يزالوا يسعون لدى كبير الوزراء المستر أسكيث فكتب الى عمدة المؤتمر يطلب منها رسمياً بالعدول عن التطواف بالقربان فأعلن رئيس اساقفة وستمنستر بهذا الحكم لكاثوليك لندن في مجتمع خاص دُعوا اليه . فكان لهذا النبإ في قلوبهم اسوأ تأثير ولولا الكردينال بورن وامرهُ لهم بالطاعة والسكون لكانوا خرجوا الى دار الندوة وطالبوا بحقوقهم من رئيس الوزارة وكان عددهم عشرة آلاف

على انَّ نيافة الكردينال لم يُرد يحرم الكاثوليك من مظاهرة أُخرى لا بأس منها فاتّفق مع رؤساء المجمع القرباني بان يتمّ الطواف في وقتهِ دون القربان الاقدس وانّما تُمنح بركة القربان من باب الكنيسة من مصطبتها الخارجة

فمنذ ظهر الاحد اخذت الجماهير تتألب الوفاً الوفاً وربوات ربوات بازاء الدار

الاسقفيّة. وبقوا كلّهم ينتظرون الحفلة ثلاث ساعات متواليات لم يسأمهم الملل ولم يضعف عزيمتهم الكلل وكانوا في اثناء ذلك يتغنّون باغانيهم التقويّة التي تعلّموها في حداثتهم وكان كثيرون غيرهم يزيّنون بيوتهم حيثما يمرّ الموكب. فلمّا ازفت الساعة سارت تلك الجموع بصفوف متواصلة متتالية متزاحمة وعلى وجوههم امارات التخشّع والتقى كأنّهم ماشون في طواف القربان. وكان الصليب يتقدّم القوم وفي اثره فتيان باللباس الرسمي

وتبعت الجموع كل الشركات الخيريّة واعضاء الشركات الصناعية وكان لكل مقاطعة ومدينة وفودها مع أعلامها وشاراتها كما انهُ يتقدّم كلّ رعيّةٍ كاهنها بثيابهِ الاكليريكيّة. وقد بلغت المسافة التي كانت تشغلها تلك الجموع المتراصّة نحو الكيلومترين ما خلا الذين اتوا لمجرّد الفرجة

وكانت العيون شاخصةً الى موكب الاكليريكيين من شمامسة وكهنة واساقفة ورؤساء اساقفة بِبِزّاتهم الخاصّة بمقامهم وكان بينهم ممثلو الكليّات الكاثوليكية ورؤساء الرهبانيّات العامون بتيجانهم الذهبيّة. وكان هناك مكان خاصّ للمندوبين من الكاثوليك في ندوتي الدولة الانكليزيّة اعني مجلس الشيوخ ومجلس العموم وانضمّ اليهم اثنان من المجلس الافرنسي

وكان نيافة الكردينال فانوتلّي يسير في اثر القوم تحدق بهِ حاشيتهُ وعلى جانبيهِ الكرادلة الخمسة. وقد أُحصي عدد الماشين في هذا التطواف فقالت جريدة التيمس انهُ بلغ الثلاثمائة الفاً وقد زعمت جرائد اخرى انهُ لم يقلّ عن نصف المليون. ومع كثرة هذه الجموع وعدد تلك الجماهير المتراكمة لم يحصل ما يكدّر الخواطر. وكان الشرط يسيرون على جانبي الموكب ليحافظوا على النظام

وكذلك حشود البروتستانت فكانوا على طرفي التطواف يتزاحمون ليعاينوا هذه المظاهرات ولم يبدُ منهم ما يدلّ على عداء او مناوأة الّا في مكان واحد فاسرع الشرط وامسكوا المعادين

ولمّا بلغ الموكب الى الكنيسة دخل منهم من لمكنةُ الدخول ثم أُقيمت الرُّتب فبارك القاصد الرسولي بالقربان الاقدس كل الحضور ثمّ خرج فطاف بهِ حول الكنيسة وعرضهُ لاكرام الشعب الواقف خارجاً بعد أن صدح الالوف منهم بترنيمة السجود وتسبحة الشكر

كتب مراسل الفيغارو واصفاً لهذا الطواف فقال: « لم ارَ في حياتي جماهير كهذه الجماهير ولا وقع لحظي على مظاهرات مثل هذه المظاهرات ولا اظنّني مبالغاً اذا قلت انّ عدد المتألّبين حول الكنيسة وفي جوارها يناهز الخمسمائة الف بل يُرْبِي عليها »

وقالت الستندرد الانكليزيّة: « لم يسبق لانكلترة البروتستانيّة ان رأت قطّ مشاهد وطقوساً تحاكي المشهد والطقس اللذين تجلّيا لاعينها يوم الاحد في حفلة ختام المجمع القرباني وكانا من الترتيب والنظام والرونق والأُبّهة بمكان ليس بعده غاية لمتطلب ». ثم زادت الجريدة متأسفةً على اهمال الطواف بالقربان فقالت: « ومن المعلوم انّ الظروف قضت بتحوير لائحة هذا الاحتفال وترك ما كان اولاه أُبّهةً اعظم ومع ذلك قد كان رونقهُ بديعاً وتأثيرهُ عظيماً »

هذه لمحة في تلك الحفلات الشائقة التي اقامها الكاثوليك في لندن في اواسط ايلول الاخير وكلٌّ من حضرها قد افاض في وصف عظمتها. وكتب أحد اعلام الفرنسويين في مجلّة الباحث انهُ عدَّ هذا المؤتمر كتعويض علنيّ لكلّ الاهانات والشتائم التي نفثت بها افواهُ المبتدعين وأقلام المشايعين منذ انفصال انكلترة عن كنيسة رومية ضدَّ القربان المقدس

وكان ارباب المجمع اجلالاً لهذا السرّ الالهيّ وتكفيراً عن الآثام التي ارتكبها الهراطقة في حقّهِ عرضوهُ في معبدٍ خاصّ تأنقوا في زينتهِ لسجود المؤمنين فكانوا يتواردون ليلاً مع نهار دون انقطاع البتّة لاكرامهِ وتبجيلهِ. ومن غريب الاتفاق الذي رأى فيهِ جميع المؤتمرين اصبع الله انّ الجوهرة المقدّسة جُعلت في صوانٍ بديع الصُّنع غالي الثمن مرصَّع بالحجارة الكريمة كان هنريكوس الثامن ملك انكلترة تقدَّم باصطناعهِ الى احذق الصاغة في لندن فلمّا انجزوهُ قدّموهُ للملك وهو يومئذٍ لم يعقّ امّهُ البيعة الكاثوليكية فاهداهُ كنيسة السيدة في تورناي من اعمال بلجكة بعد فتحهِ لهذه المدينة. فبقيت هذه الذخيرة الثمينة في خزانة تلك الكنيسة الى يومنا فاراد رئيسها الحالي ان يعيرها للجنة المؤتمر ليُعرض فيها القربان الاقدس ويُكرم علانيةً كأنّ الله اراد ان يكون ذلك الصوان شاهداً على جحود هنريكوس لايمانهِ المقدّس ورابطاً جديداً بين بريطانية المعروفة قديماً بارض القديسين وانكلترة الجديدة العائدة الى المعتقدات الرومانية

كما ورثتها من مبشّرها الاوّل اوغسطين رئيس اساقفة كنتربري وتلميذ البابا غريغوريوس الكبير رسول الانكليز

الالفاظ السحريّة

لحضرة الأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٣ الاخاء

ما أحلى اسم الاخ على لسان من عرف المؤاخاة وعاش في رفقة الصديق الصدوق الذي يُنزل نفس صاحبهِ بمنزلة نفسهِ فلا يدَّخر وسعًا في خدمتهِ والإفراج عن بلائهِ ومدّ ايدي المساعدة اليهِ في كل حاجاتهِ حتى يضحّي النفس والنفيس في سبيل صالحهِ. وقد شبّه الكتاب الكريم الاخوين اللذين يعيشان في مثل هذا الوفاق بمدينة حصينة لا يقوى عليها العدوّ. او قل بالحري انهما جسمان في نفس واحدة كما وصف سفر الملوك صداقة داود ويوناثان حيث قال عن هـذا (١ ملوك ١٨: ١) انَّ نفس يوناثان تعلّقت بنفس داود واحبَّهُ يوناثان كنفسهِ. وقال عن ذاك (٢ ملوك ١: ٢٦) انهُ احبَّ يوناثان كحب الامّ لابنها الوحيد

ذلك هو الاخاء الذي وضع الخالق اساسهُ في قلوب البشر لمّا استلّ الامّ الاولى من ضلع آدم ثمَّ جعل الابوين الاوَّلين جذرًا تتفرّع منهُ الاسرة الاولى ثم العشيرة ثم القبيلة ثم الأُمة ثم الشعوب كلهم. فكفى بذكر الانسان لاصلهِ ليسعى في مؤاخاة قريبهِ وملازمة ابناء جنسهِ. قد قال الشاعر الروماني ترنسيوس بيتًا من الشعر يردّدهُ كلّ من يشاء مناصفة البشر:

انّي لانسانٌ انا وجميعُ ما يمسُّ بني جنسي اعدُّهُ من نفسي

على انَّ هذا النظام الاوّل الذي كان الله انشأهُ لم يبقَ على اصلهِ فانَّ عدوّ جنسنا لم يُطِق ذاك الوفاق «وهو من البدء قتّال الناس» (يوحنا ٨: ٤٤) فسعى بفصل ما جمعهُ الله من اوّل العالم فغلّب في قلب الانسان حبَّ الذات على حبِّ القريب ونفث في

صدر قاين الحقد والشحناء حتى اودى بحياة شقيقهِ. وكذا فعل في بني يعقوب لمّا اوغر قلوبهم على يوسف اخيهم. وفي ابيملك وفي ابشالوم وغيرهم

وان كان الامر على هذا المنوال في شعب الله المختار فما قولك في بقيّة الامم حيث درست من القلوب وصاياهُ تعالى فانَّ شيطان البغض والعداوة مدَّ عليهم سيطرتهُ حتى انَّ تاريخهم ليس هو الّا سياق اخبار ضغائنهم وحروبهم فالتهم القويُّ الضعيفَ واستبد الغالبُ المغلوبَ واصبح معظم بني البشر في حوزة بعض المقتدرين تصرَّفوا بهم تصرُّف الاعراض يبيعونهم كالسِّلَع ويجرون فيهم حكماً مطلقاً لا يستثنون منهُ حكم الموت

تصفَّح تواريخ القدماء بل تأمَّل شرائع كبار المشترعين كليكرغوس وسولون وافلاطون وارسطو تجدهم لا يحسبون لكلّ ضعيف حساباً فانَّ الطفل والمرأة والعبد والغريب من نفاية الهيئة الاجتماعية لا يُصيبون من الحظوظ والخيرات سوى ما لا بُدَّ منهُ ليخدموا مصالح الرجل كأنهم في يدهِ آلةٌ يستخدمها لاهوائهِ

وكما تجبَّر الافراد في قومهم كذلك ترفَّعت الشعوب وتشامخت على سواها حتى كادت تجعل جنسها من طينةٍ خاصة وعنصر مختار. أفلا ترى كيف كان اليونانيّ يدعو بقيّة الشعوب برابرة او همجاً. ومثلهُ الرومانيّ كان يعدّ أمّتهُ في الفضل والشرف فوق جميع امم الارض حتى ارقاهم في سلّم المدنيّة كالفرس والكلدان والمصريين فكان يمنح كل الامتيازات للرومانيّ او المتجنس بالجنسيّة الرومانيّة امّا ما سواهم فكانوا اجانب واعلاجاً لا يستحقّون الاعتبار. وكان اليهوديّ يسلق من ليسوا بيهود باسم «الغويم» (גוים) اي الطوائف الغريبة. ومثلهم العرب كانوا ينبزون باسم العجم كل ما خالف جنسهم

فيا لله ما ابعد كلّ هؤلاء المتغطرسين عن روح المؤاخاة وشواعر الحبّ وعواطف الألفة. وان بحثت عن سبب هذا الانقلاب الذي حدث في المجتمع الانسانيّ كشف لك الرسول المصطفى سبب الداء حيث وصف آثام الوثنيّة وفظائع المشركين ونسب الامر الى الجور والكبرياء وجحود الخالق فقال (روم ١: ٢٢–١٠): «زعموا انهم حكماء فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركهُ الفساد بشبه صورة انسان.. فلذلك أسلمهم الله الى شهوات قلوبهم... وبما انهم لم يؤثروا ان يستمرّوا على معرفة

الله اسلمهم الله الى رأيٍ مرذول حتى يعملوا ما لا يليق ممتلئين من كل اثم وشر وزنى وبُخل وخُبث منغمسين حسدًا وقتلًا وخصامًا ومكرًا واساءة نمّامين متنابين ممقوتين من الله شتّامين متكبّرين مفتخرين عاقّين للوالدين لا ودّ لهم ولا عهد ولا رحمة » فمعظم هذه الآثام كما ترى تبطل الاخاء وتهضم حقوق القريب

وليس هذا الوصف ضربًا من المبالغة والغلوّ فان الآثار التاريخيّة التي أبقتها لنا الامم المختلفة تشهد على صحّتها وتؤيدها بما لا يُنكر من الشواهد . ولا غرو فانّ المؤاخاة لا ترسخ في ذهن البشر الّا اذا كانت مبنيّة على مبدإ ثابت وحكم واجب ألا وهو حبُّ الله والعمل بأوامره عزَّ وجلَّ فانزع حبَّ الله من قلب الانسان فماذا يا تُرى يبقى من المؤاخاة وحبّ القريب؟ لا شيء البتّة. لانّ الانسان قد طُبع على حب نفسه فان وجد ما يقوم بازاء هذا الحبّ الذاتيّ او يعاكسه او ينقصه فمن وقته يتحامل عليه تحامل العدوّ على عدوّه والاسد على فريسته حتى انّ الرومان كانوا ارسلوا هذا المثل بينهم : « انّ الانسان كالذئب لبني جنسه » (homo homini lupus) يشيرون الى عادة الذئاب التي تجتمع على المصاب منها بجرح او ضربة فتأكله

ولا يقولنّ احد انّ الانسان عاقل ذو فهم وادراك فلا يشاء ان يفعل بالغير ما لا يريد ان يفعل به غيره. نعم انّ هذا المبدأ صحيح يدركه الانسان بمجرّد فهمه الّا انّ للانسان جواذب مخالفة للعقل تنازعه وتكدّر صفاء عقله وقد قال العرب « انّ الهوى يعمي ويصمّ » فاذا لم يشعر الانسان برادع يردعه وبولي قدير يقهره استلم لتلك الاهواء واسكت صوت العقل وضحّى صوالح الغير لمنافعه الذاتيّة

ألا ترى ما حدث بالثورة الفرنسويّة التي نادى اصحابها اوّلًا بتلك الالفاظ السحريّة التي نحن في صددها اعني « الحرّية والمساواة والاخاء » فانّها اذ حادت عن اصول الدين ونبذت معرفة الله وسجدت لإلهة العقل ما لبثت ان انفجرت سيولًا من الدماء. فخاضت بها واذهلت بفظائعها العالم المتمدّن بل الشعوب الهمجيّة نفسها. فانّ انصار الثورة لم يكتفوا بقتل الذين لم يوافقوهم على آرائهم وخالفوا تعاليمهم كالكهنة والاشراف بل صوّبوا سهامهم بعضهم الى بعض وكان كل من يفوز منهم اليوم يُسرع الى قتل رفقته امس حتى صارت فرنسة منقعًا من الدم واسعًا

امّا اذا مكّنت في القلوب اساس الدين وخوف الله وحبّه فانّ المؤاخاة بين البشر

تلحق بهِ وتنجم عنهُ كما تنبت الزهرة من كنها والثمرة من شجرتها . وقد صرَّح الله تبارك وتعالى بهذا الامر في الشريعة الموسويَّة فانهُ بعد ان حتم على بني اسرائيل بان يعبدوا الرب إلههم ويحبُّوهُ من كل قوى نفوسهم اوصاهم ان «يحبوا قريبهم كنفسهم» (احبار ١٨:١٩) وما لا ينكر انَّ الوصايا العشر كلّها ترجع الى هاتين الوصيَّتين اعني حبّ الله وحبّ القريب وذلك ما قرَّرهُ السيد المسيح في انجيلهِ الطاهر لمَّا سألهُ احد علماء الناموس عن اعظم الوصايا (متى ٢٢:٣٩) فاجابهُ قائلًا : «احبب الربَّ إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك هذه هي الوصيَّة العظمى والاولى . والثانية التي تشبهها أحبب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كلّهُ والانبياء» . فبيَّن بذلك ما يوجد من العلاقة بين تينك الوصيتين او قُلْ بالاحرى انهما وصيَّة واحدة كما ذهب اليهِ القديس اوغسطينوس اعني وصيَّة محبة الله التي منها يتفرَّع حبُّ القريب لانَّ من يحبُّ الله يحبُّ ما لهُ وايُّ شيءٍ اقرب الى الله من مخلوقاتهِ الناطقة التي برأها على صورتهِ ومثالهِ . وقد قال القديس في محلّ آخر : «أحبب الله وافعل ما شئت» يشير بذلك الى انَّ حبَّ الله يشمل حبَّ القريب ايضًا

*

ولمَّا انتقض حبل الدين في العهد القديم وتضعضعت معهُ اسباب المؤاخاة صرخت الشعوب الى الله ليرسل مسيحهُ ويجيز ذاك الوحي المتوسع قائلة مع النبي اشعيا (٤٥:٨) : «اقطري أيتها السماوات من فوق ولتمطر الغيوم الصدّيق . لتنفتح الارض وتُثمر الخلاص ولتنبت البرّ» فلبَّى الله دعوتها وترحَّم على دائها العياء وارسل ابنهُ الوحيد ليحسمهُ ويشفيهُ

ليس في الانجيل المقدَّس حقيقة راهنة ثابتة الاركان واضحة البيان كحقيقة الاخاء البشري اعلن بها السيد المسيح بعبارات تسيل رقَّةً وبنى عليها دعائم لا يمكن نقضها . واوَّل ما طبع الرب في قلوب تلامذتهِ وردَّدهُ على مسامع الجموع المتقاطرة الى استماع كلامه انَّهم ابناء لابٍ واحد وانَّهم اخوة وذلك بعد ما حذَّرهم من كبرياء الفرّيسيين ومرائهم قائلًا (متى ٢٣:٨–٩) : «امَّا انتم فلا تُدعوا معلّمين فانَّ معلّمكم واحد وانتم جميعًا اخوة . ولا تدعوا لكم ابًا على الارض فانَّ اباكم واحد وهو الذي في السماوات» وكثيرًا ما كان يلقّنهم هذه الحقائق ولمَّا علَّمهم الصلاة الربيَّة افتتحها

بالدعاء الى ابيهم السماوي قائلًا : « ابانا الذي في السماوات » بل جعل ذلك الأب كمثالهم في الكمال قائلًا (متى ٥:٤٨) : « كونوا كاملين كما انَّ اباكم السماوي هو كامل » . وكذلك طلب منهم الّا يقصروا محبّتهم الى اصدقائهم بل يبسطونها الى اعدائهم ايضاً فيعتبرونهم كاخوة قائلًا (متى ٥:٤٤) : « احبُّوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلُّوا لاجل من يمقتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السماوات لانهُ يطلع شمسهُ على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والطالحين »

وهذه الابوَّة الالهية التي ينتسب اليها الانسان انَّما استحقَّها لهُ السيد المسيح بحلولهِ في ارضنا ولبسه طبيعتنا . ولمَّا كان هو ابناً لله بالجوهر اراد ان نشاركهُ بنوَّتهِ فجعلنا اولادًا بالذخيرة لابيهِ السماوي . ولذلك قد يُسمّي نفسهُ بكرًا لاخوتهِ البشر كما قال الرسول في رسالتهِ الى اهل رومية (٨:٢٩) عن دعوة المختارين انَّهُ تعالى « سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنهِ حتى يكون بكرًا بين اخوة كثيرين » وقال في رسالتهِ الى اهل كولسّي (١:١٣) عن السيد المسيح « انهُ صورة الله الغير المنظور وبكر كلّ خلق »

فبهذه البكورة الشريفة صار عظماً من عظامنا ولحماً من لحمنا لانهُ « اذ قد اشترك الابناء في الدم واللحم اشترك هو كذلك . . . فصار شبيهًا باخوتهِ في كل شيء » (عبر ٢:١٤–١٧) لم يستثنِ من شبههِ « الّا الخطيئة » (عبر ٤:١٥) . ولهذا لم يستحِ ان يدعو الابرار اخوة (عبر ٢:١١) وقد جاء في الانجيل الطاهر (متى ١٢: ٤٩–٥٠) انهُ سمّى التلاميذ اخوتهُ ثم عمَّم هذا الاسم لكل الصالحين لمَّا اردف قائلًا : « لانَّ كلّ من يعمل مشيئة ابي الذي في السماوات هو اخي واختي وامّي » . وقد دعاهم بهذا الاسم لمَّا قام من بين الاموات بعد ان تجدَّدت طبيعتهُ البشريَّة واكتست بخواصّ الارواح النورانيَّة وذلك لمَّا ظهر لمريم المجدليَّة وامرها قائلًا (يوحنا ٢٠: ١٧) : « امضي الى اخوتي وقولي لهم انّي صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم »

فيا ليت شعري أكان يمكن ابن الله ان يبني الاخاء بين البشر على ركن اوطد من هذا فانهُ اوقع ثمّة موقع العروة الوثقى بين ابناء الله فلم يَعُد احد يستطيع ان ينبذ مؤاخاة قريبهِ الّا بنبذهِ إخاء السيّد المسيح . ولذلك تراهُ يكرّر على مسامع تلاميذهِ وصيَّة المحبة بينهم حتى جعلها وصيَّتهُ الخاصَّة فقال لهم (يوحنا ١٣: ٣٤) :

« اني أُعطيكم وصية جديدة ان يحبَّ بعضكم بعضاً وان يكون حبكم كما احببتكم انا ». ولمّا بلغ حبُّ السيّد الى انهُ ضحّى نفسهُ لاجل اخوتهِ فرض عليهم ايضاً ان يحذوا حذوهُ في تضحية نفوسهم في سبيل القريب . قال الرسول يوحنا في رسالتهِ الاولى (٣: ١٤—١٧): « قد علمنا أنّا انتقلنا من الموت الى الحياة لأنّا نحبُّ الاخوة ومن لا يحبُّ اخاهُ فانهُ يبقى في الموت . وكل من يبغض اخاهُ فهو قاتل وتعلمون ان كل قاتل ليست لهُ حياةٌ ابديّة تحلُّ فيهِ . بهذا قد عرفنا المحبة انَّ ذاك (اي المسيح) قد بذل نفسهُ من اجلنا فيجب علينا ان نبذل نفوسنا من اجل الاخوة »

لا مراء انَّ المسيحيين الاوَّلين حفظوا هذه الوصاة ولزموا المؤاخاة بينهم في كل آن حتى كانت محبتهم دليلاً عليهم فاذا رآهم غيرهم هتفوا: « ما اعظم مودّة هؤلاء بعضهم لبعض » . وكانت تلك المحبة تتناول كل البائسين على اختلاف اجناسهم وادیانهم يرون في الجميع صورة الخالق فيمدُّون اليهم يد المساعدة ويحسنون اليهم في حاجاتهم

وقد ورثت الكنيسة الكاثوليكية تلك فريضة المحبة من سيّدها وقدّيسيها فلم تزل في كل آن معروفة بنشر التودُّد والمؤاخاة بين كل الشعوب وبملازمة كل اعمال الرحمة نحو المنكوبين فايُّ بلاء لم تسدّهُ او ايّ داء لم تعالجهُ او اي فساد لم تصلحهُ . فكفى شاهداً على همّتها تلك الطوائف الرهبانية التي تصرف عنايتها في تربية الصغار واهتمامها بالايتام وتمريض المرضى وخدمة البُرص والمجانين والموبوئين والعَجَزة يقوم بحاجاتهم قوم من الرهبان والراهبات ضحّوا في سبيل تربيتهم كلَّ ملاذ الحياة وكافّة الآمال الزمنيّة من جاه وغنى ومراتب عملاً بقولهِ تعالى (متى ٢٥: ٤٠): « كل ما فعلتموهُ باحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموهُ »

هذه المؤاخاة الصحيحة التي لا تكتفي ببعض الكلمات الفارغة بل تظهر في العمل وتتبيَّن في قضاء الحاجات وتفضيل الخير العامّ على المنافع الخاصّة وتسعى في جمع القلوب واصلاح ذات البين

وقد امتدّت تلك اصول الاخاء المبنيَّة على قواعد الدين المسيحيّ الى الحكومات المدنية ولاسيا دول القرون الوسطى فلانت بها الاخلاق وائتلفت القلوب وزال الاستبداد ونشأت في الاجيال الاخيرة الدول الكاثوليكية التي نشرت أعلام العدل وخفّفت

اعباء السلطة المطلقة فشعرت الرعية بقواها وعرفت فضل الاتحاد فألّفت الجمعيّات وشكّلت الشركات التجاريّة والصناعيّة والفنيّة فنهضت بذلك الامم من خمولها وترقّت احوالها وزادت ثروتها . ولولا انّ اصحاب الثورة تعرّضوا لتلك الاصلاحات وغلّبوا الفوضى وقلبوا الامور ظهرًا لبطن لتوطّدت اركان الهيئة الاجتماعية واصبحت كل دولة كعائلة تعيش كل افرادها بالالفة والاخاء

والدول المتمدّنة في عهدنا ترمي الى هذه الغاية المرغوبة وتسعى في تحقيق هذه الامنية . وقد وضعت لتوطيد روح الاخاء العام عدّة وسائط كالمؤتمرات الدولية والمفاوضات العموميّة ومجالس التحكيم وغير ذلك ممّا يقرّب القلوب ويزيل النفور ويبطل التنازعات

وكانت بعض الدول قد تأخرت نوعًا في مجاراة اهل التمدّن العصري كروسيّة والعجم ودولتنا العلية

الّا انّ الريح التي هبّت في البلاد الاوربية ونسفت الظلم والاستبداد نفخت ايضًا في بلاد الشرق فروّحت الارواح وانعشت النفوس فيا ليتها لا تتجاوز طور الانصاف وحدود الحكمة فتُبيد فقط جراثيم البغض وتفكّ ربقة الاستعباد وتبطل المظالم الفاشية في العباد . فتنجبر القلوب من اصداعها وتتكلّم من جروحها وتشفى من اوجاعها

لعمري لو تروّى العقلاء من اهل الطوائف الذين لهم النفوذ في مللهم لوجدوا اسباب الوفاق اوفر من دواعي الشقاق فضلًا عمّا ينجم عنها من الفوائد للعموم . ألا ترى ان الذين وُلدوا في تخوم واحدة ونشأوا في تربة واحدة واستنشقوا هواء وطن واحد واندمجت افكارهم بمناوشة السنتهم الوطنيّة وسعوا وراء مصالح متشابهة هم احرى بالاتفاق واجدر بالمؤاخاة . واثد كفانا شتاتنا السابق وتفرّق كلمتنا في ما مضى فانّ هذه الضغائن كادت تطمس معالمنا وتمحو آثارنا لأن كل بيت ينقسم على نفسه يخرب كما يقول الربّ فلنمدّنّ بعضنا الى بعض ايدي المصافحة ونضمّنّ القوى بالاتحاد فلا نلبث انّ نرى بلادنا تعود الى ازدهارها وعمرانها فتُصبح جامعةً بين خصب التربة وشمل الامان بفضل الاخاء بين اهل الاوطان ونردّد آية النبي داود (في الزبور ١٣٢ : ١) : « ما أطيب وما ألذّ ان يسكن الاخوة معًا »

التبريد الصناعي

لاحد اساتذة كليتنا

لو قلنا لقرّائنا الشرقيين انّ في هذا العام عُقد موتمر خصوصي للبحث في التبريد الصناعيّ لعلّهم نسبوا قولنا الى المزح والفكاهة . وما الامر مع ذلك الّا عين الحقيقة. فانّ ارباب الصناعة اتّفقوا على فتح هذا الموتمر في باريس فاجتمعوا من اليوم الخامس الى الثاني عشر من تشرين الأوّل وتداولوا في الابحاث المنوطة بالتبريد الصناعي

وكأنّي بك تقاطع كلامي فتقول وما الفائدة من هذه الاجتماعات الفضوليّة ؟ أليس البرد مبدأ كل الشرور كما اثبت القدماء ؟ او لا ترى الطبيعة تهرم وتموت اذا ضرب البرد اطنابهُ في فصل الشتاء ؟

أجل انّ ذلك كلّهُ لمعلوم بيد انهُ لا يُنكر ايضًا انّ الله جعل في البرد منافع يُمكن الانسان ان يقتبسها لسدّ حاجاته وتوفير اسباب معاشه بل هنائهِ ورفاهيتهِ. وقد ادرك الامر بعض ادباء العرب فوجدوا للشتاء محاسن افاضوا فيها كطول الليل الذي جعلهُ الله سكنًا للانسان وبرد الماء مادّة حياته وانقطاع الهوامّ واجتماع شمل المتفرّقين والخلود الى الراحة. ومدح بعض الدهاقين الشتاء فقال: «آكل فيهِ ما جمعت. واستمتع بما ادّخرت. وايُّ شيء احسن من كانوني في كانون ومن لبس الخزّ والسمّور والقعود في الطوارم مع الاحباب. وتناول الدرّاج والكباب. والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج بثلج الصدور»

الّا انّ العلماء وجدوا في البرد منافع اخرى اعظم ممّا تبادر اليهِ فكر العرب اعني حفظ المآكل من الفساد ونقلها في طراءتها من البلاد القاصية الى غيرها فتستطيع لاقطار الخالية منها ان تنتفع بها وتتقوّت منها

عرف القدماء بالاختبار انّ البرد يصون الاقوات من الوخومة ولذلك كانوا يعرضون اللحوم على الهواء ليلًا ويحفرون لها المطامير. وكان الرومان يصطنعون لهم سراديب

حميّة يطمّونها بثلج ينقلونهُ من جبال الالب ويجعلون فيها الاطعمة التي يريدون ادّخارها للصيف

غير انَّ تلك الوسائط بقيت منحصرةً قليلة الانتشار كثيرة النفقات لا ينتفع بها الّا بعض الذوات حتى القرون المتأخرة التي استنبط فيها ارباب العلم مقاييس الحرارة والبرد واثبتوا بقوانين راهنة تجليد بعض العناصر وعرفوا ما ينتج من اختلاط المركّبات من سقوط درجات الحرارة . ففي سنة ١٦٦٢ نشر العلّامة بائل (R. Bayle) كتاباً اشار فيهِ الى مزيجات من الاجسام تصلح للتبريد . وتمكّن بعدهُ بثلاث سنوات استاذ مكتب باريس العلّامة فيليب لاهير (Ph. Lahire) من تجليد الماء بواسطة ملح النوشادر

ثم جاء القرن الثامن عشر فاكتشف في اثنائهِ عالمان من الانكليز وليم كولن (W. Cullen) ونارن (Nairne) طريقتين جديدتين لتجليد الماء فجلّدهُ الاول في الآلة المفرّغة للهواء والثاني في اناء مقفل جعل فيهِ الحامض السلفوريك فكان الحامضُ يمتصُّ ما تبخّر من الماء فتبط درجة الحرارة ويتجلّد الماء سريعاً

الّا انَّ الدروس لتبريد الاجسام لم تبلغ قط مبلغها في القرن الاخير فانَّ فارادي لحظ في ابحاثهِ عن تغيير حالة الاجسام سنة ١٨٢٣ انَّ غاز الامونياك اذا كان سائلًا يُهبط الحرارة الى درجة بالغة . ومذ ذاك الحين دخلت آلة التبريد في طور جديد وجعل اصحاب المعامل والتجار يطلبون وسيلةً قريبة المنال لتوليد البرد الصناعي ولاستخدامهِ في لوازم الصناعة والحاجات البيتيّة

وممّن نالوا في ذلك بعض الشهرة جون غوري (J. Gorrie) الذي اصطنع سنة ١٨٤٥ آلة كانت تجلّد الماء بضغط الهواء الجوّي فكان يبرّد بعض حُجَر المرضى في المستشفيات ويستحضر كثيةً من الجليد الصناعيّ . وجاراهُ في المانية وفرنسة ونيس (Nice) فأدّت بهما ابحاثهما الى وضع ادوات ضاغطة لتجليد الماء وحفظ البقول والسمن والفواكه في اواني مبرّدة صناعياً . الّا انَّ هذه الاجهزة كانت تكلّف كُلَفاً باهظة لحاجتها الى ادوات محرّكة غالية الثمن

وكان اوّل من اصاب المرمى في ذلك الفرنسويّ فرديناند كارّه (F. Carré) سنة ١٨٥٧ فانهُ استحضر آلات تجليديّة بناها على مبدإ امتصاص الابخرة بواسطة

الاثير السولفوريك. ثم عدل عنهُ بعد قليل لسرعة انفجارهِ وأخطارهِ واستبدلهُ بالنوشادر. فكانت هذه الآلة التبريديَّة جامعة لكل الشروط الاقتصاديَّة والعمليَّة. وساعدهُ في مشروعهِ احد رصفائهِ شارل تاليه (C. Tellier) فحسَّن آلتهُ وبلَّغها حالة الكمال واخذ كلاهما يشتغل بتبريد الاطعمة. وممَّا اختبراهُ بالتجربة انهُ يُمكن حفظ الاسماك ولحوم الحيوانات مدَّةً طويلة في ادوات مجلدة ونقلها الى بلاد شاسعة دون ان يصيبها شيء من الفساد.

وقد تعرَّض لتاليهْ قوم من الماكسين فلم يستطع ان يفوز بمناصبتهم لهُ ثم انتشبت الحرب بين فرنسة والمانية فصرف الناس همَّتهم لما هو امسَّ واحوج فبقيت اختبارات كارّه وتاليه مُهملةً لا يعيرها الجمهور بالهم الى ان عاد لفرنسة سلامها وجدَّدت نهضتها الصناعية والتجاريَّة. فكرَّر العلَّامة تاليه اختباراتهِ وأقنع بعض التجار الى تعمير سُفن مبرَّدة جهَّزها باحواض تجليديَّة لنقل الاسماك من خليج هودسن واللحوم من باراغاي الى فرنسة. فعرض لهذه البعثات عوارض حالت دون نجاحها التامّ لكنَّ التجار عادوا الى اختباراتهم فأتت بالنتائج المرغوبة وكان بعض هذه السُّفن كافية لنقل مئتي الف كيلو من السمك الطري. ثم ابتنوا في مرسيلية ورُوان خزائن لحفظ السمك الوارد مجلَّدًا ريثما يوزعونهُ على الطالبين.

فمَّا سبق ترى انَّ الفضل الاعظم في تجهيز الادوات المبرَّدة واستخدامها للمنافع العموميَّة عائد الى علماء فرنسة وتجارها. لكنَّ الحكومة بقيت الى هذه الازمنة الاخيرة غير راضية باعمال اولئك التجار بل وضعت بعض التقارير المثبِّطة لمساعيهم لأسباب لا يسعنا هنا تبيانها فأسرعت المانية وانكلترة والولايات المتَّحدة الى مباراة الفرنسويين في هذه المتاجرة ونالت بها الارباح الطائلة فأنشئت في هذه الدول جمعيات جعلت لها حكوماتها امتيازات خاصة فجهَّزت السُّفن والقطارات والمخازن التجليديَّة لنقل السلع ولاسيما المآكل كالخضر والبيض واللحوم والأسماك الى كل جهات البلاد باثمان متهاودة

ففي سنة ١٨٨٠ نقلت السفن الانكليزيَّة الى ليفربول من اميركة الجنوبية لحوم ٤٠٠ بقرة واليوم يبلغ عدد ما يُرسل منها في العام ١٠,٠٠٠,٠٠٠ بقرة. واخذت اميركة الشمالية تحذو حذو شقيقتها فزادت مراعيها ووفَّرت عدد مواشيها وهي اليوم تربح منها مالًا وافرًا. وكذلك تفعل اوسترالية المشهورة بوفرة قطعانها وافريقية الغربية

وبلاد الكاب وبعض جهات الهند والشرق الاقصى فكلّ هـذه الاقطار تُرسل الى اوربَّة محصولات املاكها بواسطة الادوات المبرّدة

وقد حسب سنة ١٩٠٣ احد كبار الاقتصاديين ما في عنابر الولايات المتّحدة من السلع المحفوظة بالتجليد لتُنقل الى بلاد شتى فاذا هي تساوي ستّة ملايين متر مكعّب تخصُّ ستمائة شركة ويبلغ ثمنها مليارًا من الفرنكات . امّا مجموع ما في العالمين من هذه المحصولات فلا يقلّ ثمنهُ عن عشرة مليارات

فترى مما سبق انَّ الذين ألفوا مؤخرًا في باريس مؤتمر التبريد لم يقدموا على العمل لاسباب خفيفة او بغيةً في اغراض شخصية محصورة في منافع بلد واحد او جمعيّات قليلة . وناهيك بجدول الابحاث التي تداول فيها المؤتمرون دليلًا على عظم شأنها ووفرة فوائدها . فانها كانت مقسومة اربعة اقسام عُهد بكل قسم منها الى بعض الحضور ليتفاوضوا فيه ويبدوا فيه رأيهم

فبحث اصحاب القسم الاوّل عن التبريد نظريًّا وما له من المفاعيل الطبيعية والكيمويّة والحيويّة وما ينجم عنهُ من المنافع والمضارّ . وفحص قوم من الكيمويين المواد المبرّدة وصلاحيّتها للصحّة فوجدوا انها تصلح للاكل كبقيّة الاقوات غير المبرّدة لا ينقصها شيءٌ من خواصّ المآكل الطيّبة

ونظر اهل القسم الثاني في ادوات التجليد والاجهزة الجاري استعمالها في بلاد مختلفة للمقابلة بينها وتعريف فوائدها وتفضيل بعضها على بعض . وكذلك امعنوا النظر في الطرائق الشائعة اليوم للتبريد لبيان خواصّها ومنافعها كضغط الغازات الممكن تسييلها وضغط الهواء او تفريغهِ بالآلة المفرّغة . وكذلك امتصاص الابخرة وغير ذلك مما اخترعهُ ارباب الطبيعة في هـذه السنين الاخيرة ولاسيما آلة الاستاذ لِنده (راجع المشرق ٤ : ١١٢١) لتحويل الهواء الى مائع سيّال . ومما تداول فيـه اصحاب هذا القسم اتّخاذ مقياس واحد في كل الدول لضبط درجات البرد . وكذلك تباحثوا في المخازن والاحواض التجليديّة وافضل الطرائق لتهيئتها

وعهدوا الى اعضاء القسمين الثالث والرابع درس التجليد بالنسبة الى الاغذية واصناف الاقوات ثم بنسبتهِ الى الحِرَف والصنائع وها نحن نعدّد هنا بعض ما اتّصلت اليهِ صنعة التبريد من الفوائد المختلفة

١ حفظ اللحوم والاسماك وطيور الصيد ونقلها الى الامكنة السحيقة (كما جرى مؤخرًا في بيروت) بحيث أصبحت بذلك عدَّة بلاد تأمن المجاعة . وذلك مفيد خاصةً لتموين الجيوش وقت الحرب وفي السلم بالطحين النظيف واللحم الطيّب وكذلك يصلح التبريد لصيانة الناس من المجاعة وقت حصار مدنهم بنفس هذه الوسائط

٢ سلامة السمن والبيض من الفساد الى زمن غير محدود ونقلها الى البلاد البعيدة

٣ حفظ الحليب وصيانته من الميكروبات والجراثيم الضارَّة وكلّها يقتلها البرد او يمنع انتشارها . وقد طلب اهل المؤتمر انَّ الحليب في المستشفيات يُحفظ دائمًا مجلَّدًا وكذلك اللحم ليسلم كلاهما من الوخومة

٤ حفظ الزهور في نضارتها مدَّة طويلة ونقلها من بلد الى بلد . وكذلك منع الأكمة من الازدهار الى وقت معلوم لتزدهر في بعض فصول السنة كما يشاء اصحابها

٥ منع اختمار المشروبات وصيانتها من التقلّبات الجويّة

٦ اصطناع المشروبات المجلّدة والزلابيات وغيرها

٧ اتخاذ التجليد في عدَّة صنائع لاسيا في تعدين المعادن وحفر الآبار واستخراج اليراقين وبعض الدهون

٨ تبريد الامكنة وقت الصيف في الحرّ الشديد بادوات مبرّدة تجعل في البيوت وغيرها وتحفظ الهواء في درجة مناسبة من الحرارة

٩ منع البارود من الفساد . وقد اثبت بعض المؤتمرين انهُ كان يمكن تلافي الاضرار الجسيمة التي حصلت في هذه الاعوام الاخيرة في عدَّة سفن حربية لانفجار بارودها لو حُفظ البارود في آنية مبرّدة اصطناعيًا

فكلّ هذه الفوائد وغيرها قد استوقفت ابصار اهل المؤتمر وتحقَّق الجمهور صحّتها لما سمعوا الخطباء يتباحثون فيها وكانت نتيجة هذا المؤتمر انَّ التبريد اصبح في عهدنا من اعظم الوسائل لترقي التجارة وخدمة الصنائع يجوز نظمهُ في سلك الاكتشافات الخطيرة التي يفتخر بها عصرنا كالبخار والكهرباء ونقل القوَّة الآلية لتحريك الادوات ولذلك طلبوا من وزراء الدول أن توضع لهذه الصناعة قوانين وتسهيلات لتعميم فوائدها . فسبحان المولى الكريم الذي مكَّن الانسان من تذليل قوَّة جديدة لترويج منافعهِ بعد ان كان سابقًا لا يكاد يعرف غير مضارّها

الآداب العربيَّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

مشاهير المسلمين (تابع)

هذا ما امكنَنا جمعهُ من تراجم ادباء المسلمين في هذا العصر وهو بعضٌ من عدد. ولا نشكّ انهُ اشتهر في بلاد الاسلام غير هؤلاء. الّا انَّ تواريخهم لم تُطبع حتى الآن او تجد منها نتفاً قليلة متفرّقة لا ينتفع من مضامينها الّا من وصلت يدهُ الى تلك المنشورات وسمح لهُ الزمان بمراجعتها وقليل ما هم

وممَّن اطّلعنا على ذكر بعض آثارهم دون معرفة ترجمة حياتهم الشيخ العالم حمزة افندي فتح الله الذي حرَّر مدَّةً في الاسكندريَّة جريدة الكوكب الشرقيّ ثم انتقل الى تونس فعرضت حكومتها أن يحرّر جريدتها الرسميَّة المدعوَّة بالرائد التونسيّ مع منشئها منصور افندي كرلتي. فاشتغل بذلك مدَّةً منذ السنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) وكان ذا باع في الانشاء ولهُ نظم حسنٌ فمن ذلك قولهُ يمدح الوزير الكبير خير الدين باشا بقصيدة مطلعها:

آلاؤكَ الغرُّ او آثارك الغررُ زها بها في الزمان الجيدُ والطُّرَرُ

ومنها:

الله ملجأنا اذ ليس يفجأنا شرُّ المطوب وخيرُ الدين لي وَزَرُ
حبرٌ لهُ همَّةٌ اعلى وارفع من هام الثريَّا ومجدٌ ليس ينحصرُ
وسيرةٌ سرَّت الدنيا بشائرُها وضمَّخ الكونَ عرفًا مسكها الذفرُ
لا زال كهفًا لمن يأوي بساحتهِ في ظلّهِ تستمد الآمال والوطرُ
وكعبةٌ وزراء الفضل اجمعُها ترجو بهِ وهو فيما بينهم قمرُ

وكان خير الدين المذكور وزيرًا لباي تونس فاشتهر بحسن سياستهِ وتدبيره

للامور. وكان كاتباً بارعاً ألف كتاباً دعاهُ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك طبعهُ في حاضرة تونس سنة ١٢٨٥. وهو لجود كتاب وضعهُ احد الشرقيين في وصف الممالك الاوربية وتعريف احوالها المدنية مع لمحة من تواريخها

وعُرف بذلك الوقت في المغرب وبلاد تونس من الادباء الوزير ابو العبَّاس احمد بن ابي ضياف والشيوخ ابو عبد الله محمد الباجي واحمد كريم الحنفي وابو النجاة سالم ابو حاجب وابو عبدالله محمد العربي زورق ومحمَّد الصادق ثابت وابو راشد يونس العروسي ومصطفى رضوان ومحمَّد بن الحسن التطواني وقد قرأنا لكلهم فصولاً في الادب ألَّا انَّ اخبارهم منقطعة عنَّا

وممَّن لم نقف على اخبارهم ونالوا بعض الشهرة في الادب في الطور الذي نحن بصددهِ السيِّد عبد الرحمان النحاس نقيب الاشراف في بيروت نشر ديوان خطب مسجَّعة قرَّظها الشعراء وممَّا قال فيها الشيخ ابراهيم الاحدب:

انشا لنا الخطب التي الفاظُها قد اعربت في السمع لحن مثاني
فقَرٌ غدت حُلي المسامع مثلما اغنت فقير الفضل بالاحسانِ
اذنت لآلي لفظها بولوجها في مسمع الآذان قبل إذانِ

وللسيِّد عبد الرحمان قصائد متفرِّقة منها قولهُ يمدح الشاعر مصباح البربير:

لقد ضاء مصباحُ مشكاة عصرهِ وفاق بحسن الذكر نشر الشمائلِ
فتًى من بني البربير حاز براعةً وكان بنظم الشعر اوَّل قائلِ
به طاب اهل المجد فرعاً وقد سما مقاماً على هام البدور الكواملِ
لقد صاغ من نسج القريض نظامهُ وجاء بديوان غريب المناهلِ
وكان حديث السنّ لكنَّ قدرهُ كبيرٌ بانواع الحلى والفضائلِ

واصاب في طرابلس بعض الشهرة الشيخ محمَّد الموقّت كان يتعاطى الشعر ولهُ مراسلات شعريَّة مع الشيخ ناصيف اليازجي منها قصيدة في مدحهِ يقول فيها:

للهِ هاتيك الصفات فانها جمعت ثناء مشارقٍ ومغاربِ
أنظرْ كلَّ مهنَّدٍ في غمدهِ ماضٍ وكلّ غضنفرٍ بمحاربِ
لا يخدعنَّك بالمجال فانَّهُ ما كلُّ من سلَّ الحسامَ بضاربِ
هذا هو الروض الذي ازهارهُ عطَّرنَ كل تنوفةٍ وسباسبِ
هذا هو الماء الزلال وغيرهُ ملحٌ أجاجٌ ما يلذُّ لشاربِ

هذا هو الفخر الذي شرفت بهِ ابناء دوحتهِ لبعد تناسبِ

وكان في مصر طرابلسيٌّ آخر يدعى حسن افندي الطرابلسيّ كاتبَ ايضاً الشيخ ناصيف فمدح الشيخ آدابه وشعرهُ فقال:

يا أيُّها الحسنُ الميمونُ طالعُهُ احسنتَ حتّى ملأت السَّمْعَ والبصرا
ما زلتَ تجلو علينا كلَّ قافيةٍ قد شيَّبت بمعاني حسنها الشعرا
يعزّك الشعرُ انشادًا فنحن بهِ نغوصُ في البحر حتى نجتني الدررا

وكذلك كتب في جرائد مصر الشيخ خليل العزازيّ ونظم القصائد فمدحهُ محرِّر الجوائب بقولهِ:

ألم ترَ كيف يزخرُ بالقوافي فيُسكر من سلافتها العقولا
فتروي كلَّ من امسى غليلًا وتشفي كل من اضحى عليلا

وقام في العراق احمد عزّت الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد الباقي الذي مرَّ لنا ذكرهُ سابقًا. ولهُ آثار شعريّة لم تجمع حتى الآن. مدحهُ منشئ الجوائب غير مرّة لوفرة آدابهِ. واخبارهُ مجهولة لدنا

الادباء النصارى

ظهرت في هذا العهد ثمرة المدارس المسيحية التي أُنشئت في انحاء الشام فتخرج منها جمهور من الادباء اخذوا يحرّرون الجرائد ويصنّفون التآليف المختلفة وينظمون القصائد ويتلون الروايات التشخيصيّة ويعقدون الجمعيّات الادبيّة فيلقون فيها الخطب ويهتمون بتنشيط العلوم فحصلت بذلك نهضة استوقفت الابصار وبثت في القلوب رغبة الترقّي والتمدُّن

(بنو اليازجي) واوَّل من يتحتَّم علينا ذكرهم الشيخ ناصيف اليازجي واسرتهُ التي كاد الموت يقصف آخر غصونها في العام الماضي بوفاة المرحوم الشيخ ابراهيم نجلهِ. وها نحن نلخّص اخبارهم جميعًا لائتلاف الموضوع وفرارًا من التكرار . أصل هذا البيت من روم حمص . ثم نمت اسرتهم وتفرّعت الى عدّة فروع فهاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب واستوطن غيرهم وادي التيم وكان بعضهم دخل في خدمة عُمّال الدولة في اواسط القرن الثامن عشر

بصفة كاتب فعُرف باسم اليازجي اي الكاتب وعُرف بهِ ابناؤهُ من بعدهِ. وقد جاهر هذا الفرع بالمذهب الكاثوليكي مع أسر أخرى كبيت البحري وبيت كرامة في منتهى القرن الثامن عشر وسكنوا كفرشيما من قرى ساحل بيروت. وكان عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط والد الشيخ ناصيف طبيباً درس الطبَّ على بعض رهبان الشوير وتعاطاهُ بالعمل فحذق بهِ. وكان مع ذلك محبّاً للآداب العربية يطالع من كتب اللغة ما يحصل عليهِ ووسائل التعليم في ذلك الوقت قليلة. وتعلَّم الشعر فنظم بعض القصائد التي لعبت بها ايدي الضياع. ومما روى لهُ حفيدهُ الشيخ ابراهيم قولهُ يمدح ديوان شعر للقس حنانيا منيّر صاحب التآليف التي سبق لنا وصفها:

عش بالهنا والخير والرضوان يا من حُبيتَ بنظم ذا الديوانِ
اني لقد طالعتهُ فوجدتهُ نظماً فريدًا ما لهُ من ثانِ

وكان مولد ناصيف ابنهِ في كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠ درس مبادئ القراءة والكتابة على القس متى الشبابي ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة اصول اللغة وفنون الآداب فانكبَّ عليها بنشاط وحرصَ على اتقانها ما امكنهُ فنال منها نصيباً حسناً. ثم درس الطبَّ على والدهِ ووضع فيهِ ارجوزة سمَّاها الحجر الكريم في اصول الطبِّ القديم لم تُنشر بالطبع. ودرس ايضاً فنَّ الموسيقى ووعى كثيرًا من اصولها ودقائقها. وكان مغرى بالتاريخ مواظباً على قراءة اخبار القدماء فيحفظ منها تفاصيل كثيرة لا تبرح من ذاكرتهِ اذا اطلعت فيها مرَّةً

لكنَّ الادب غلب على الشيخ ناصيف فبلغ فيهِ مبلغاً عجيباً قيل انهُ استظهر القرآن وحفظ كل ديوان المتنبّي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولَّد لا يخلّ فيها بحرف. وكان في اوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليهِ من الآثار الادبيَّة بخط جميل اشبه بالقلم الفارسي

ومما امتاز بهِ على اهل زمانهِ شعرهُ فانهُ نبغ فيهِ على ما روي وعمرهُ لا يتجاوز عشر سنين فكان يقول الشعر عفوًا على البديهة ويأتي بكل معنى بليغ. وكان في اوَّل امرهِ ينظم المعنَّى والقراديات تفكُّهاً. وقد تلف معظم هذه المنظومات العاميَّة

وسطع في ذلك الوقت نجم الامير بشير الكبير فقصدهُ الادباء والشعراء ومدحوه

ونالوا من سجال فضلهِ منهم المعلم الياس اده ونقولا الترك وبطرس كرامة فسار الشيخ ناصيف الى بيت الدين واتصل بهؤلاء الادباء فقرَّبوهُ من الامير الذي اتخذهُ كاتباً لاسرارهِ ورفع شأنهُ. وللشيخ في مخدومهِ قصائد جليلة منها رائيَّة التي قالها مهنئاً لهُ سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) واولها:

يهنيك يهنيك هذا النصرُ والظفرُ فانعَمْ اذن انت بل فلتنعمِ البشرُ

وبقي في خدمتهِ اثنتي عشرة سنة. فلمَّا كُفَّت يد الامير عن تدبير لبنان سنة ١٨٤٠ فارقهُ الشيخ ناصيف ونزل مع اهلهِ الى بيروت فسكنها الى سنة وفاتهِ

وفي هذه الثلاثين سنةً الاخيرة من عمرهِ انقطع الى التأليف في بيتهِ والى التدريس ومراسلة الادباء فحظي بشهرةٍ عظيمة. وسمع بهِ المستشرقون فكاتبوهُ واقترحوا عليه عدَّة مصنَّفات اجابهم الى وضع بعضها فطبعوها في مجلاتهم. وكان علماء الشرق يتسابقون الى مكاتبتهِ ويتباربون بينهم القصائد والرسائل. ومن فضل الشيخ ناصيف انهُ سعى مع بعض ادباء الشام بعقد الجمعيَّة السوريَّة لترقية الآداب ورفع منار العلوم. وكان لهُ في كل المساعي الادبيَّة يدٌ مشكورة حتى اصبح في بلاد الشام كقطب العلوم العربية وشرعة المعارف الوطنيَّة

واشتغل ايضاً مع اصحاب الرسالة الاميركيَّة فنظم لهم المزامير وبعض الاغاني الدينية واستفادوا منهُ ايضاً في تعريب الاسفار المقدَّسة التي نشروها في مطبعتهم

امَّا تآليف الشيخ ناصيف فكلُّها مشهورة سردنا اسماءها في تاريخ الطباعة في اعداد سنتنا الثالثة واشهرها مقاماتهُ الستون المعروفة بمجمع البحرين التي عارض فيها المقامات الحريريَّة طُبعت مرارًا في المطبعة الاميركية ثم في مطبعتنا الكاثوليكيَّة. ولهُ كتاب فصل الخطاب في الصرف والنحو. وجوف الفرا والجمانة وهما ارجوزتان في اصول النحو نظمهما وعُني بشرحهما. وكتاب عقد الجمان في البيان مع ملحق في العروض. ولهُ شرح على المتنبّي اتمَّهُ ابنهُ الشيخ ابراهيم ووسمهُ باسم العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب. وشعرهُ متفرّق في ثلاثة دواوين كتاب نفحة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الادباء وكتاب ثالث القمرين. وقد قصد الاديب ميخائيل افندي ابراهيم رحمة جمع شعرهِ في ديوان طُبع منهُ نبذتان في المطبعة الشرقية

في الحدث وفي المطبعة الادبيَّة مصحَّحاً بقلم نجلهِ المذكور. والمأمول ان ينجز قريباً هذا العمل ويضيف الى المجموع ما لم يزل مخطوطاً او شارداً من القصائد

وشعر الشيخ ناصيف يجمع بين الرقَّة والمتانة يضارع نظم اجود الشعراء في كل ابواب المعاني وقد مرَّ لنا عدَّة اقوال من قلمهِ تشهد على براعتهِ ورسوخ قدمهِ في آداب الشعر. وقد مدح اكثر مشاهير عصرهِ وادباء زمانهِ ورثى قوماً من الكرام الذين انتقلوا الى دار البقاء في ايامهِ ولهُ التواريخ المتعدّدة التي زان بها قبورهم او علَّقها على الآثار البنائيَّة والكنائس وغيرها. فمن مديحهِ قولهُ من قصيدة غرَّاء رفعها الى جلالة السلطان عبد العزيز وضمَّن كل شطر منها تاريخاً لسنة ١٢٨٣:

قالَ الالهُ علينا اوجُ طالعهِ   قد فاق فوق جهات الأفق كالعلَمِ
في خلقهِ عجبٌ في عزمهِ طربٌ   واحاتهُ سُحبٌ يهتمرن بالكرمِ
امين ربِّ الورى في الكون مؤتمنٌ   على العباد لحقِّ العهد والذممِ
قد درَّ بني عثمانَ من صدقوا   بطيب حلمٍ ووضع حائل القيمِ
بنوا لنا برج سعدٍ وُصِّلُ طلعتهِ   تدعو الأنام الى اعباه شكرهمِ
بابُ السعادةِ باب النصر ساكنهُ   كهفُ الطالب من حاماهُ لم يضَمِ

ومدح نابوليون الثالث بقصيدة افتتحها بهذه الابيات:

من قال انَّ الدهر ليس يعودُ   هــذا زمانٌ عادَ وهو جديدُ
قد عاد نابليون بعد زوالهِ   فكأنَّ ذلك يومهُ الموعود
يا من يقول لرمَّةٍ في لحدهِ   انَّ السعيد كما علمتِ سعيدُ
هذا خليفتهُ الذي احيا الورى   احياكِ حتَّى اخضرَّ منكِ العودُ
لا تُفقد الدنيا لفقد عزيزها   ما دام يخلفُ تحتها المولودُ
تتجدَّد الاشخاص فيها مثلما   يُفرى القضيبُ فينبتُ الاملودُ

ولهُ في مديح الملكة ڤيكتوريا من قصيدة:

اليوم قامت فتاةُ الملك بارزةً   وقام من قبلها اسلافُها الاوَّلُ
فرعُ الاصول التي مرَّت وبهجتها   انَّ الثمارَ من الاغصان تُجتَلُ
يُستَحسن الملك فيها والخضوع لها   وليس يحسنُ فيها الجبن والبخَلُ
باهى الرجالُ نساء الدهر وافتخروا   حتَّى اتت فأصاب المدَّعي الخجَلُ
اذا صفا لك نور الشمس في فلكٍ   فما الذي تفرقُ الجوزاء والحمَلُ
في قلبها خاتم التقوى وفي يدها   من خاتم الملك ما يجري بهِ المثَلُ

قد التقى الدينُ والدنيا بساحتها ... كما التقى الكُحل في الاجفانِ والكَحَلُ

ولهُ قصائد أُخرى في مدح الخديويين اصحاب مصر ابراهيم باشا وسعيد باشا واسمعيل باشا. وكثيرًا ما كان يجمع في هذه المدائح انواع الجناسات والفنون البديعيّة الصعبة المرتقى الدالّة على تذليلهِ للمشكلات اللفظيّة والمعنويّة لكنّ التعسُّف ظاهر في بعض هذه المنظومات التي وضعها لمعارضة قومٍ من شعراء القرون المتأخرة. ومن هذا القبيل بديعيّةُ التي التزم فيها تسمية الجناس والنوع اوّلها:

هاج الجَمْر بالاطلال في العلَم ... فأبرع الدمع في استهلالهِ العرم

ومن احسن شعر صاحب الترجمة مراثيهِ التي اوردنا منها امثلة. ولهُ من قصيدة يرثي بها الطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم:

وكنْ هوى في دار مصر اوشكت ... منهُ رُبى لبنان ان تتفطّرا
ضجّت بهِ الاسكندريّةُ هيبةً ... فكأنَّ فوق سريرهِ الاسكندرا
يا ايّها الطود الذي عبثت بهِ ... ايدي المنون فمال بطول الثرى
غدرت بك الايّام ظلمًا كما ... تُدعى فالقت في التراب الجوهرا

ولهُ في رثاء صغير وابداد:

أستودعُ الله في طيّ الضريح فتًى ... كالغصن معتدلًا والبدر مكتملا
كنّا نؤمّل ان نحيي لهُ عمرًا ... فخيّب الدهرُ منّا ذلك الاملا
خان الزمان لهُ عهد الصبا وبغى ... عليهِ داعي المنايا اذ اتى عجلا
قد ألبسوهُ الثياب البيض فاصطبغت ... بحُمرةٍ من دم الدمع الذي انهملا
والناس من حولهِ تمشي وقد نكست ... رؤوسها وصراخُ الباكيات علا
يا رحمة الله حُلّي فوق تربتهِ ... كما حللتِ على نعشٍ بهِ حُملا

ومن مراثيهِ ما قالهُ في موت ابنهِ حبيب وهو آخر ما نظم قبل شهر من وفاتهِ ولم يتمّ رثاءهُ لحزنهِ:

ذهب الحبيب فيا حشاشتي ذوبي ... اسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبي
ربّيتهُ للبَيْن حتى جاءهُ ... في جنح ليلٍ خاطفًا كالذيب
يا ايّها الامُّ الحزينةُ أجملي ... صبرًا فانّ الصبرَ خير طبيب
لا تخلعي ثوب الحداد ولازمي ... ندبًا عليهِ يليقُ بالمندوب
هذا هو الغصن الرطيبُ اصابهُ ... سهم القضاء فمات غيرَ رطيب
من للكتابة والحسابة بعدهُ ... ولصحّة التدبير والتدريب
لا استحي ان قلتُ قلّ نظيرهُ ... بين الرجال فلستُ غيرَ مصيب

والمرء يطلقُ في الكلام لسانهُ ... ان كان لا يخشى من التكذيبِ
اني وقفتُ على جوانب قبرهِ ... استي ثراهُ بدمعي المصبوبِ
ولقد كتبتُ لهُ على صفحاتهِ ... يا لوعتي من ذلك المكتوبِ
لكَ يا ضريحُ كرامةٌ ومحبّةٌ ... عندي لانّك قد حويتَ حبيبي

ومن تمازيهِ اللطيفة قولهُ يخاطب تاجرًا أُصيب بمالهِ:

يا بائع الصبر لا تُشفق على الشاري ... فدرهمُ الصبر يسوى (كذا) الف دينارِ
لا شيء كالصبر يشفي قلب صاحبهِ ... ولا حوى مثلهُ حانوت عطّارِ
هذا الذي تُحمد الاحزانَ جرعتهُ ... كبارد الماء يطفي حدّة النارِ
ويُحفظ القلبُ باقٍ (كذا) في سلامتهِ ... حتّى يُبدَّل اعسارٌ بايسارِ
يا من حزنت لفقد المال انك قد ... خُلقتَ عارٍ (كذا) وما في ذاك من عارِ
كما اتى امس ذاك المالُ مكتسبًا ... يأتي غدًا من بديع اللطف جبّارِ

ومن زهريّاتهِ قولهُ:

مرَّ النسيم على الرياض مسلّما ... سحرًا فردَّ هزارها مترنّما
احنى اليهِ الزهرُ مفرق رأسهِ ... ادبًا ولو ملك الكلام تكلّما
يا حبّذا ماء الغدير وشمسهُ ... تعطيهِ دينارًا فيُقلب درهما
عبث الرياحُ بهِ كتابةَ بعضها ... فتخاصمت من فوقهِ فتهشّما

ولهُ هجوٌ قليل فمن ذلك قولهُ لثقيل:

كفَّ عنّي لا ابا لكْ ... قد تبيّنا مُحالكْ
وعرفناك والّا ... فمتى نعرفُ حالكْ
قد مضى لي بك عمرٌ ... حاملًا فيهِ ملالكْ
حسبُ قلبي منك جورٌ ... كاد منهُ يتهالكْ
سترى النادم منّا ... وربي اللهُ فالكْ

وقال في بخيل:

قد قال قومٌ انَّ خبزك حامضٌ ... والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ ... مَن ذاقهُ يومًا ليعرف طعمهُ

ومن حكمهِ المأثورة:

انّي لقد جرّبتُ اخلاقَ الورى ... حتّى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يذمُّ الناس فالذي غدا ... من ذمّهِ يدخلُ في ذمّ الملا
ولا يحبُّ غير نفسهِ فما ... احبّهُ فهو الى النفس انتهى
يعرف كلٌّ حالهُ فيما مضى ... الّا الـذي كان دنيًّا فارتقى

وكلُّ علمٍ يدركُ المرءُ سوى عرفانِ قدرِ نفسهِ كما انتفى
وكلُّ من لا خيرَ منهُ يُرتجى ان عاشَ او ماتَ على حدٍّ سوا

وممَّا برَّز فيهِ قولهُ في الدين المسيحي:

نحنُ النصارى آلُ عيسى المنتمي حسبَ التأنُّس للبتولةِ مريمِ
وهو الإلهُ ابنُ الالهِ وروحهُ ثلثهٌ في واحدٍ لم تُقسَمِ
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ وكذا هما والروح تحتَ تقنُّمِ
كالشمسِ يَظهرُ جرمها بشُعاعها وبحرِّها والكلُّ شمسٌ فاعلمِ
واللهُ يَشهدُ هكذا بالحقِّ في سفرٍ لتوراةِ الكليمِ مُسلَّمِ
عن آدمٍ قد قال «صارَ كواحدٍ منَّا» بلفظِ الجمعِ من ذاك الفمِ
خلقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ أحدٍ لخدمةِ آدمَ المستخدَمِ
لكن عصاهُ بزلَّةٍ لا تنمحي الَّا بإرسالِ ابنهِ المتجسِّمِ
فأتى وخلَّصهُ وخلَّص نسلهُ ذاك المخلِّصُ من عذابِ جهنَّمِ

ومنها في وصف اعمال السيد المسيح وآياتهِ:

شهدَت عجائبُهُ لهُ في عصرهِ فدرَى الحكيمُ وتاهَ من لم يفهمِ
ولنا عليهِ أدلَّةٌ قطعيَّةٌ عقلًا ونقلًا ليسَ قطعَ تحكُّمِ
قد جاء لا سيفٌ ولا رمحٌ ولا فرسٌ ولا شيءٌ يُباعُ بدرهمِ
يأوي المغارةَ مثلَ راعي الضأنِ لا راعي الممالكِ في السريرِ الاعظمِ
وهو ابن يوسفَ لا ابنُ قيصرَ عندهم يغزو بجيشٍ في البلادِ عرمرمِ
فأتاهُ من شعبِ اليهودِ جماعةٌ كانوا على الدينِ التليدِ الاقدمِ
وتباعدوا من قومِهم بعذلةٍ يأبون كلَّ كرامةٍ وتنعُّمِ
قالوا هو ابن اللهِ جهرًا والعِدى من حولهم مثل الذئابِ الحُوَّمِ
والناسُ بين عواذلٍ وعواذرٍ لهمُ وبين مُحلِّلٍ ومُحرِّمِ
ما غرَّكم يا قومُ فيهِ أسَفهٌ ام جاهةٌ ام مالهُ في الانجمِ
هو ساحرٌ يغلي؟ فقالوا لم نجد من ساحرٍ يُحيي الرميمَ بطلسمِ
كانت رجالُ اللهِ تحيي ميّتًا بصلاتها ودعائها المتقدِّمِ
ونراهُ يُحيي المائتين بامرهِ فهو الالهُ ومن تشكَّك يندمِ
واثنين هم انخدعوا لنفسهم فقد ضَمِنَت عقولهم كمن لم يحلُمِ
فترى بما خدعوا البلادَ ومن بها من عالمٍ يُفتي ومن متعلِّمِ
فاذا اعتبرنا ما ذُكرتُ بدا لنا بالحقِّ وجهُ الحقِّ غير ملثَّمِ

وأُصيب الشيخ ناصيف في السنتين الاخيرتين من عمرهِ بفالجٍ نصفي تحمَّل مضضهُ بالصبر ثم دهمتهُ سكتة دماغيّة فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله. وممَّا طُبع لهُ من التآليف في اوربَّة رسالةٌ الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينيّة وعلّق

عليها الحواشي الاستاذ مهرن (Mehren) وطبعها في ليبسيك. وقد وجدنا في مكتبة برلين الملكيَّة رسالة مطوَّلة في احوال لبنان وسكَّانه وامرائه واديان اهله لا نشكُّ انها له وان لم يُذكَر فيها اسمهُ. وهذه الرسالة نقلها الى الالمانية العلّامة فليشر (Fleischer) ونشرها في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG. VI, 98, 388) ثم نشرتها ايضاً مجلة الهلال في سنتها الثالثة عشرة (ص ٥١٣ و٥٦٦) ونسبتها الى اندراوس حوصه (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

La Province de Bagdad : son passé, son présent, son avenir, avec des notes sur le chemin de fer de Bagdad et une étude sur les tribus nomades de la Mésopotamie par **Habib K. Chiha**. *Le Caire*, 1908, VI - 337.

ولاية بغداد

هذا اوَّل كتاب صنَّفهُ احد الشرقيين في اللغة الافرنسيَّة عن ولاية بغداد يصحُّ في مؤلّفهِ المثل انَّ صاحب الدار ادرى بما فيها. ولا عجب فانَّ جناب حبيب افندي شيحا استوطن بغداد منذ حداثته وتقلَّب في دوائرها واختلط باهلها وحظي عند قناصل الدول النصَّبين فيها وتردَّد على القبائل المجاورة لها. وها هوذا قد جمع في هذا الكتاب ما عاينهُ واختبرهُ وسمعهُ عن ولاية بغداد في كل احوالها التاريخيَّة مباشرةً باصلها على عهد الخليفة العبَّاسي ابي جعفر المنصور الى زماننا الحاضر. ثم الجغرافية ثم الصناعية والتجاريَّة ثم الاثريَّة كوصف الآثار القديمة المكتشفة في العراق والآثار المستحدثة من مزارات ومشاهد ومساجد وابنية خطيرة، يليها نظرٌ في العادات الجارية عند اهلها المسلمين والنصارى واليهود ثم ابحاث مختلفة اقتصادية في تعريف سككها ومواصلاتها البرّيَّة والنهريَّة مع البلاد التي تقرب منها كجزيرة العرب وبلاد الشام والعجم اضاف اليها وصفاً للسكة الحديديَّة البغداديَّة التي نال امتيازها الالمان. وقد ختم هذا القسم بلمحةٍ في القنصليَّات الاجنبيَّة في دار السلام. وللكتاب ملحقٌ غاية في النفاسة عن القبائل العربية التي تسكن العراق وما بين النهرين ضمَّنهُ كل ما يحبُّ القرَّاء معرفتهُ عن اهل البادية من مساكن وانساب وتقاسيم وتدبير وغزو وعادات اهليَّة شتى في

الولادة والزواج والجنازات والغناء والموسيقى والعلاجات. ولم ينسَ قرّاء المشرق فصلًا حسنًا اثبتهُ جناب المؤلف في سنتنا الاولى (ص ٦٨٤ و ٩٤٢) عن البيطرة عند الاعراب يدلُّ على ما تكاتبهِ من العامة في وصف احوال العرب المحدثين. فترى من هذا النظر الاجمالي ما للكتاب من المزايا والخواصّ الطيّبة. هذا ولولا ضيق المكان لكنّا عرضنا على المؤلف بعض الملحوظات رغبةً في تحسين كتابهِ في طبعةٍ ثانية ولعلّنا نفعل في وقتٍ آخر او يقوم بذلك احد مكاتبينا البغداديين ان شاء الله ليصير هذا التأليف مرجعًا يُستند اليهِ في كلّ امور بغداد ل. ش

ELENCO bibliografico delle accademie, società, istituti scientifici, direzioni di periodici, ecc., corrispondenti con la Reale Accademia dei Lincei. e Indici delle loro pubblicazioni pervenute all'Accademia sino a dicembre 1907. *Roma*, 1908, VII-421.

قائمة المطبوعات والمنشورات العلمية التي وردت لمكتب لنشاي في رومية

لمكتب لينشاي في رومية شهرة عظيمة فانهُ بمثابة مكتب باريس العلمي ترد عليهِ المجلّات والمنشورات العلميّة من كل انحاء المعمور امّا بصفة هدايا وامّا مبادلةً بمطبوعاتهِ العلميّة. فاحبّ ناظر خزانة هذا المكتب جناب الاستاذ غابرئيلي (Gabrieli) ان يدوّن في كتاب خاصّ كلّ هذه الواردات فاصطنع قائمة مدقّقة تبلغ ٤٢١ صفحة ضمّنها اسماء تلك المنشورات. ولهذه القائمة فائدة عظيمة لاصحاب الكتاب ليعرفوا ما يُنشر في العالم من المجلّات العلميّة واللغويّة ومنها المنشورات الشرقية التي تهمّ بلادنا. فنشكر جامع الكتاب على شغلهِ ونحضّ الكتبيّين على اقتنائهِ ل. ش

Géographie de l'Empire Ottoman par J. Dupont *Paris, Poussielgue*, 1907.

جغرافية المالك العثمانية

كان المسيو ڤيتال كوينه (V. Cuinet) ألّف كتابًا واسعًا في اربع مجلّدات وصف فيهِ المالك المحروسة وصفًا وافيًا ثم الحقهُ بكتابٍ آخر في وصف بلاد الشام خصوصًا فاصاب هذا التأليف الحظوى لدى محبّي الآثار الشرقيّة رغمًا عما وقع فيهِ من الاغلاط المتعدّدة. الّا انّ ارباب المدارس كانوا يودّون لو اختصر احد اصحاب الهمّة هذا الكتاب لافادة الاحداث. فقام بهذا المشروع احد المعلمين الفرنسويين المسيو دوپون فوضع هذا المختصر على طريقة تعليميّة موافقة لشؤون المدارس وقسمهُ ثلاثة اقسام

فضمّن القسم الأوّل اوصافًا عموميّة لتحديد المالك المحروسة واقسامها وتعريف اعالها ونظامها. ويبحث في القسم الثاني من بلادها وولاياتها وسناجقها ومدنها وما ينوط بها من المعلومات المفيدة لجغرافيتها واديان اهلها وعددهم وتجارتهم وزراعتهم. امّا القسم الثالث ففيه نظر مفيد في مقام بلاد تركيا الاقتصادي ومحصولاتها ومعاملاتها التجاريّة مع الدول وفي آخر الكتاب فهرس واسع مع ملخّص مضامينه. وقد عرض صاحب هذا التأليف مسودّاته على معلّمي الجغرافية في كليّتنا حضرة الاب لامنس والاب دانيه وشكرهما في المقدّمة على مساعدتهما له في ضبط معلوماته واصلاحها. ونحن نحضّ كلّ مدارسنا السوريّة ان تتخذ هذا التأليف كدستور تعليمها الجغرافي فلا تجد احسن منهُ وان دخل فيهِ بعض اغلاط ثانويّة لا نتعرّض لها هنا خوفًا من الاطالة المملّة ل. ش

LE RITE BYZANTIN dans les Patriarcats melkites Alexandrie - Antioche - Jérusalem, par le P. Cyrille Charon, *Rome*, 1908, XIII-244.

الطقس البوزنطي في البطركيّات الملكيّة

هو الكتاب الذي كنّا نتمنّى نشرهُ منذ زمن طويل قد وضعهُ على احسن اسلوب واوفى مرغوب حضرة الخوري كيرلّس شارون الرومي الملكي الكاثوليكي. وقد جعل حضرتهُ هذا التأليف كذكرٍ للاعياد الشائقة التي أُقيمت في رومية العظمى لتذكار المائة الخامسة عشرة لوفاة الذهبيّ الفم ونظمهُ في سلك المنشورات التي باشر العلماء في طبعها بهذه النسبة (اطلب المجلّة ص ٨٧١). امّا مضمون هذا الكتاب النفيس فتاريخ مختصر لدخول الطقس البوزنطي في البطريركات الاسكندريّة والانطاكية والاورشليميّة وذلك في نواحي القرن الثاني عشر بعد ان أُلغيت الطقوس السابقة التي كانت تلك الكنائس تنجز بها الاسرار المقدّسة وفقًا لتقاليدها الخاصّة الموروثة عن الرسل وآباء الكنيسة. ثم يلي هذا القسم نظرٌ في شيوع الطقوس البوزنطيّة واستعمالها في البطريركيّات المرقومة باللغة السريانية اوّلًا ثم بالعربية. اما اللغة السريانية فقد اثبت حضرتهُ انها كانت اللغة المتغلّبة على الكنيسة الملكيّة لاسيا الانطاكية وسرد لاثبات زعمهِ اسماء المخطوطات السريانية الملكية التي وقف عليها وهي لا تقلّ عن مئتي كتاب مختلف تجدها في كلّ المكاتب العمومية في حواضر اوربّة وغيرها. ثم انتقل

حضرتهُ الى وصف الكتب الطقسية العربية ووصفها وصفاً وافياً سواء كانت خطيَّة او مطبوعة وبيَّن ما للمطبوعة منها من الخواصّ والمحاسن والمعايب منتقداً عليها انتقاداً معتدلاً مع بيان تواريخها ومضامينها وكمالها او خللها. ثم انتقل حضرتهُ الى قسم أخير ضمَّنهُ عدَّة ملحوظات في العادات الطقسية الجارية اليوم في كنائس الملكيين لتعريف ما استُحدث منها. وفي هذا القسم بحث عن البصلتيكا والغناء الكنسي وبعض الرتب الخاصة. وفيهِ ايضاً معجم للالفاظ اليونانية المستعملة عند الملكيين. وقد ختمهُ بتدوين ما سنح لحضرتهِ من الخواطر في اصلاح بعض العادات وتلافي بعض النواقص ليُصبح الطقس الملكي في اتمّ كمالهِ. فنهنّئ حضرة المؤلف ونؤمّل ان كتابهُ يُشيع قريباً فتتداولهُ ايدي كل محبي الطقس اليوناني ولاسيما الاكليروس الملكي ل. ش

Le Martyrologe de Rabban Sliba édité, traduit et annoté par le **P. Paul Peeters s. j.**, (*Extrait des Analecta Bollandiana*).

كلندار ربَّان صليبا

ربَّان صليبا كاتب يعقوبي كان في اواخر القرن الثالث عشر فألَّف كلنداراً ضمَّنهُ اعياد الكنيسة السريانية ولم يسلم من هذا الاثر غير نسخة وحيدة كان العلَّامة يوسف السمعاني نشرها على علَّاتها في فهرست كتب المكتبة الواتيكانية ونقلها الى اللاتينية دون الانتقاد الواجب. فعاد حضرة الاب بولس بيترس اليسوعي من جمعية البولنديين الشهيرة واخذ رسم النسخة الاصلية ودرسها درساً مدقّقاً فطبعها واصلح كثيراً من اغلاطها بالمقابلة مع منشورات اخرى وعلّق عليها ملحوظات غاية في الافادة تنبئ بعلم واسع ومطالعات لا تُحصى ثم نقلها الى اللاتينية فجاء تأليفهُ موافقاً لما نعيدهُ في البولنديين من التدقيق والتحقيق والتقدم الراسخة في كل العلوم الدينية. فلا نشكُّ بانَّ محبي الآثار السريانية يبادرون الى اقتنائهِ ل. ش

مفتاح الفلاح في تقديس الارواح

ترجمة حضرة الاب كميل مارون احد مرسلي الاخوة الاصاغر

طُبع في اورشليم بمطبعة الارض المقدَّسة للآباء الفرنسيسيين (سنة ١٩٠٨ ص ٤٥٣)

بعد ان اتحفنا حضرة المعرّب بكتاب منهاج الخشوع في حبّ يسوع الذي مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ١١: ٣٩٥) ها هوذا عقَّبهُ بتعريب كتاب آخر ليس دون السابق في

حسن مضامينه وضبط ترجمته وجودة طبعه دعاه بمفتاح الفلاح في تقديس الارواح نقلهُ من الافرنسية لكنَّهُ ضنَّ علينا باسم صاحبه. وهو كتاب صغير الحجم كثير الجدوى في اربعة اقسام ونحو ثمانين فصلاً في كل ابواب الحياة الروحية. والفصول قصيرة الّا انَّها غاية في التقى تؤثر في القلب اكثر منها في العقل وغايتها بعث النفوس على الصلاح والاعمال التقويَّة وممارسة الكمال المسيحي وفقاً لاحوال عصرنا الحاضر. فنحضُّ كل محبّي الحياة الروحية ان يتَّخذوا هذا الكتاب كمرشد امين للسير في طريق الخلاص

ل. ش

سيرة حنَّة درك البكر المكرَّمة

تأليف الاب ڤرنيه الراهب اليسوعيّ

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين (سنة ١٩٠٨ ص ١٤٠)

المكرَّمة حنَّة درك فتاة اميَّة كان عمرها ثماني عشرة سنة لا غير لمَّا انتدبها الله بطرق عجيبة الى خلاص فرنسة من اعدائها وكان الانكليز قد انقضُّوا على مدنها انقضاض النسور الكاسرة وكادوا يلتهمونها التهاماً لولا هذه الابنة التي اجتمعت بملك فرنسة كرلوس السابع وشدَّدت عزائمهُ وسارت بجنوده لملاقاة العدوّ فكسرتهُ كسرات متوالية ووطَّدت اركان المملكة الفرنسويَّة الّا ان الله سمح بان تسقط في ايدي المعادين بعد سنتين فحكموا عليها بالموت ظلماً. فرضيت بهذا الحكم الجائر وماتت ميتة الابرار. والحقُّ يقال انَّ حنَّة درك لم تكن فقط فتاة شديدة البأس قامت بما عهدهُ الله اليها قيام الابطال بل كانت ايضاً قدِّيسة ممتازة بفضائلها لاسيما التقى والعفاف والزهد بالدنيا والفرار من كل مجد باطل والثقة التامَّة بالله وحدهُ ولهذا السبب قد عوَّلت الكنيسة على اكرامها وادراج اسمها في سجلّ اولياء الله. وسيتمّ ذلك قريباً.

وكان ينقصنا في العربية كتاب يصف اعمال تلك الفتاة الشهمة التي ظهرت في هذه القرون الاخيرة كآية من آياته تعالى لخلاص امَّة عُرفت بابنة الكنيسة البكر. وهذا الخلل قد سدَّهُ حضرة الاب ڤرنيه المرسل اليسوعي بوضع كتاب جمع فيه كل ما يروق الاحداث من اوصاف الوقائع الحربية والآثر الحماسيَّة والاعمال التقويَّة ما يبعث في قلوب الشبَّان روح الدين وحب الوطن معاً. فجاء تأليفهُ من افضل ما يُجازى به طلبة المدارس الذكور والاناث على حدّ سواء.

ل. ش

شذرات

استدراك عن رسالتين كتب لنا من عين شمس بضواحي القاهرة في تاريخ ١٦ نوفمبر جناب الوجيه الفاضل احمد باشا تيمور ما حرفه:

لمشرقكم الاغرّ فضلٌ على الناطقين بالضاد لا ينكره الّا مكابر ولو لم يكن له الّا نظم ما انتثر من رسائل البلغاء والحكماء المتقدّمين لكفاه. وقد راقني من فرائد هـذا السلك دُرَّتان احداهما نظم مثلث قُطرب نُشرت في العدد السابع. والاخرى رسالة في دفع الخوف من الموت نشرت في العدد الاخير وكلتاهما غُفلٌ من اسم مؤلفهما فرأيت ان اذكر ما اعرفهُ عنهما اتماماً للفائدة فاقول:

امّا الرسالة فهي للرئيس ابن سينا سبق طبعها مع ثلاث رسائل أخرى من تأليفه في ليدن سنة ١٨٩٣ الاولى في العشق والثانية في ماهية الصلاة والثالثة في معنى الزيارة والرابعة هذه الرسالة. وقد عارضتها على التي بالمشرق فاذا هي هي

وامّا المثلث فقد نشرتم منهُ منظومتين احداهما شرح للاخرى وأوردتموهما ممزوجتين كما وجدتموهما في النسخة المخطوطة فاحسنتم كل الاحسان في تأدية الامانة حقّها. والمشهور عن منظومة المتن التي اولها (يا مولعاً بالغضب) انها لقطرب نفسه كما يؤخذ من كشف الظنون وذكر انَّ لسديد الدين عبد الوهاب بن الحسين شرحاً عليها وهو قول لا يخلو من نظر فقد وقعت لي نسخة من شرح لها منسوبٍ لابراهيم اللَّخمي يؤخذ من خطبته ان النظم لسديد الدين المذكور فلعلّ قطرباً وضعها نثراً فنظمها سديد الدين كما نظمها غيره ويؤيد هذا الزعم قوله في ختامها:

لمّا رأيتُ دَلَّهُ وهجرهُ ومَطْلَهُ
نظمتُ في وصفي لهُ مثلثاً لقطربِ

وهي دلالة صريحة على ان الناظم غير قطرب. ووقعت لي نسخة اخرى من هذا الشرح منسوباً لسديد الدين نفسه ولا اظنّهُ الّا من عبث الناسخ رأى الشرح غُفلاً من اسم مؤلفه ووجد في خطبته قبل ذكر النظم «قال الوزير سديد الدين عبد الوهاب الخ» فخلط هذا الخلط. على اني وقفت على شرح آخر لهذه المنظومة اسمهُ «النظم الطرب لمثلثات قطرب» استشهد مؤلفه على كل كلمة ببيت من كلام العرب وذيَّلهُ بنظم

الفاظ استدركها على الاصل الّا انّ الناسخ اكتفى من الذيل بشرح الالفاظ دون النظم ويستفاد من خطبته ان الناظم غير قطرب ايضاً. هـذا ما يتعلق بهذه المنظومة واماً شرحها المنشور بالمشرق الذي اوّله :

الحمد لله العظيم الباري   الرازق المهيمن   الغفّار

فهو للعلّامة ابن البارزي الحموي وعندي منه نسختان لا تخلوان من التحريف. وحيث قد استرسلنا في الكلام على هذا المثلث وشروحه فلا بأس من ذكر ما اجتمع منها بين مخطوطات مكتبتي . فنهـا غير ما تقدَّم نسختان من شرح منظوم لابراهيم الازهري اوّله :

الحمد لله الذي هدانا   لملّة الاسلام   واجتبانا
بجُمه وجودهِ اصطفانا   لفضل توحيدٍ فلا نبالي

ثم أتى بعد ذلك في غالب الابيات بنظم ابن البارزي مغيّراً قافيـة الشطر الرابع فقط ولا ادري أيّهما سرق من الآخر

ومنها تشطير للنظم الاوّل لشمس الدين القادري جعلهُ كالشرح يقول فيه :

يا مولعًا بالغضب   اراك حتى معرضـا
بالهجر والتجنّب   بعد الوصال والرضا
حبّك قد برّح بي   يا مَنْ غدا يلعب بي
في جدِّهِ واللّعِبِ

وجرى على هذا السياق الى آخره. ومنها نظم لهذا المثلث مجرد عن الشرح للشيخ عبد العزيز الديريني اوّله :

اذا عاينت سُبْلَ الحب غَمرا   وقد مُلِئَتْ بك الاعداء غِمرا
فلا تكُ صاحبي في اللهو غُمرا   وسِرْ عمقًا ودعْ زيدًا وعَمرا

ويعقب كلُّ مربّع حلٌّ لالفاظـه انتهى . وقد اشرتُم الى نظم آخر مربّع مختوم بقافية النون ورقتُهُ الاولى مفقودة ولولاها لنشرتموه فان صـدق ظني فهو مثلث الشيخ موسى القليبيّ المسمّى « التحفة القليبيّة في بعض المثلثات اللغويّة » وطريقته فيـه انهُ رتّبهُ على حروف المعجم واورد في كل حرف خمسة الفاظ واني ذاكر لكم ختامـه حتى اذا طابق ما عندكم نسخت لكم المفقود لتنشروه افادة لقرّاء المجلة وهو :

ثم الصلاة والسلام الدائمُ على نبي شأنهُ المراحمُ
وآلهِ الأعرابُ والاعاجمُ ما قامت الاشياء بالرَّحمنِ

هذا وقد بقي شيء. استبيحكم في ذكره وان خرج عن موضوعنا وهو انكاركم على مؤلف المنتخبات العربية قوله ان حسَّان بن ثابت عاش في الاسلام ستين سنة مع انَّ وفاته كانت سنة ٥٤ وانا نرى لكم هذا الانكار لاعتباركم السنة الهجريَّة تاريخًا لاوَّل ظهور الدعوة النبويَّة ولو اعتبرتموها تاريخًا للهجرة كما هو الواقع ما استنكرتم هذا القول والله اعلم

(المشرق) نشكر جناب مكاتبنا على ما تفضَّل بهِ من الافادات فنقول انَّا وجدنا الرسالة المنسوبة الى الشيخ الرئيس كما اشار حضرتهُ في ذاك المجموع المهمّ بطبعهِ احد كبار المستشرقين وصديقنا المأسوف عليه الاستاذ مَهْرن الذي عرَّب اسمه بيكائيل ابن يحيى الطحَّان. ولم يخطر على بالنا عند طبع الرسالة ان نراجع هذا المجموع الذي ذهلنا عنهُ ومن غريب امر هذه الرسالة انَّ الاستاذ مهرن وجدها في نسختين غير النسخة التي وقفنا عليها في باريس الواحدة منها في مكتبة ليدن في هولاندة وهي كنسختنا تغفلُ من اسم مؤلفها وعنوانها «رسالة في دفع الغمّ من الموت». امَّا النسخة الثانية فوجدها في المتحف الآسيويّ في بطرسبرج مصدَّرة بما نصّه «رسالة للشيخ الرئيس في عدم الخوف من الموت» ثم يبتدئ بالرسالة دون فاتحة. وكنَّا راجعنا في تاريخ الحكماء للقفطي وفي طبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة جدول مصنَّفات ابن سينا فلم نجد للرسالة المزبورة ذكرًا. والغريبُ من ذلك انَّ الرسالة مدرجة في جملة فصول كتاب تهذيب الاخلاق لاحمد بن محمَّد الشهير بابن مسكويه المطبوع غير مرَّة في مصر. ففي المقالة السابعة من الكتاب وهي الاخيرة ذكر المؤلف علاج امراض النفس الغالبة عليها كالحزن والخوف ثم عقَّب ذكر الخوف المطلق بذكر الخوف من الموت هكذا (ص ١١٩ من طبعة سنة ١٢٩٨) : «هذه جملة الكلام على الخوف المطلق. ولمَّا كان اعظم ما يلحق الانسان منهُ هو خوف الموت وكان هذا الخوف عامًا الخ». فعلى هذا البناء يكون المرجَّح نسبة الرسالة لابن مسكويه لاسيَّما انَّ نسختنا ونسخة ليدن تسكتان عن اسم المؤلف. ولنا برهان آخر على انَّ صاحب الرسالة هو ابن مسكويهِ وهو خلوّ فصلهِ من الخاتمة التي زيَّفنا رأيها في وحدة النفوس

(اطلب في المشرق حاشية ص٨٤٤) . وقد قابلنا بين نسخة باريس والنسختين المطبوعتين في مصر وفي ليدن فوجدنا بينها عدَّة روايات متباينة الَّا انَّ اكثرها غير جوهري

امَّا ما افاد جناب المكاتب من شرح مثلَّثات قطرب فلهُ منَّا عليهِ الشكر وسنعود اليه ان شاء الله لأنَّا قد وجدنا في مكتبة برلين نسختين جديدتين مضبوطتين من شرح المثلَّثات القطربيَّة غير ما رويناهُ

أمَّا ملحوظنا على ما قال صاحب المنتخبات العربيَّة في حسَّان بن ثابت فحملناهُ على تاريخ سنة الهجرة لا على زمن اسلام حسَّان · على ان تاريخ حسَّان كما يظهر لا يوثق بهِ ولا يُتَّق في روايةِ الكتبة لضعفهِ (اطلب الاغانيّ وأُسد الغابة لابن الاثير)

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد ادباء الدمشقيين ما هي الآثار الخطيَّة التي وقف عليها علماء الالمان في قبَّة الجامع الامويّ في دمشق

الآثار المكتشفة في قبَّة الجامع الاموي

ج قبل عشرين سنة بنيِّف رحلنا الى دمشق لنبحث عمَّا فيها من الآثار الخطيَّة وكنَّا سمعنا بانَّ في القبة التي في صحن دار الجامع الاموي مخطوطات قديمة فتحفَّينا في السؤال عنها فلم يستطع احد ان يفيدنا من امرها شيئاً بل كان جواب اكثر الذين سألناهم عن القضيَّة انَّ القبَّة لا تحتوي غير الصكوك والحجج المختصَّة بالجامع الاموي . الَّا انَّ علماء الالمان لم يكتفوا بذلك ونالوا من كرم جلالة السلطان ان يدخلوا القبَّة ويفحصوا ما فيها فدخلها البارون فون سودن (von Soden) والدكتور ڤيوله (Violet) فوجدا عدداً لا يُحصى من المخطوطات اكثرها على الرقوق فسعيا بضبطها ومعرفة مضامينها ورسم صورها . وبقي الدكتور ڤيوله اشهراً متوالية يشتغل بذلك . فمما اكتشفه قطعٌ متعدِّدة من الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والجديد باللغة الآراميَّة الفلسطينيَّة التي بها تكلَّم السيّد المسيح بينها فصول انجيليَّة ورسائل لبولس الرسول . واكتشف ايضاً عدداً وافراً من الكتابات اليونانيَّة مضمونها صلوات كنسيَّة ورتب طقسيَّة وشذرات كتابيَّة وادبيَّات دينيَّة وقصص رهبانيَّة وكان في جملتها مزامير عربيَّة مكتوبة بالحرف اليونانيّ ووجد ايضاً مقاطيع شعريَّة لاوميروس وكانت هذه

الكتابات اليونانيّة بخطوط بديعة وبعضها مزدانة بنقوش وقسمٌ من هذه الرقوق حُكَّت كتابتها اليونانيّة فكُتب فوقها كتابات عربيّة او سريانيّة · ومن محتويات القبّة ايضًا كراريس واوراق متفرّقة بالقبطيّة والكرجيّة والارمنيّة معظمها يشتمل على فقرات من الاسفار المقدَّسة تفيد العلماء للمعارضة على النُّسخ القديمة · واخطر منها شأنًا آثار عبرانيّة وسامريّة تتضمّن نسخًا من بعض كتب التوراة وتقاويم لاعياد السامريين وصلوات طقسيّة تُتلى في الجوامع اليهوديّة وصكوكًا شتّى للبيع والاوقاف وعهودًا زواجيّة · وبينها ايضًا مقاطيع لاتينيّة وفرنسويّة قديمة مع قصائد شعريّة يرتقي عهدها الى الصليبيين وكان بعضٌ منها ملطّخًا بالدماء مما يدلُّ على انها أُخذت في معامع الحروب · وممَّا يُسرّ باكتشافه محبّو الآثار النصرانيّة نسخة انجيليّة يونانيّة يرقّونها الى القرن الرابع وقطع من دياطسّارون طاطيانوس (اطلب المشرق ٤ : ١٠٠) ومن اقوال الربّ التي تُنسب الى القديس بابياس تلميذ يوحنّا الحبيب · وغير ذلك ممّا لا يسعنا تعداده · وقسمٌ كبير من هذه الآثار قد اهدته الحضرة السلطانيّة الى الدولة الالمانيّة فنُقل الى برلين وبذلك نجت تلك الكتابات من ايدي الضياع وآفات التلف كالعث والرطوبة التي كادت تفنيها

س وسأل من سبرنتفيلد ماس بالولايات المتحدة الاديب الياس مخائيل صليبا ما هي اسماء التلاميذ الاثنين والسبعين الذين اوفدهم الربّ للرسالة كما ذكر لوقا البشير (١٠ : ١)

اسماء التلاميذ الاثنين والسبعين

ج لا يُعرف شيء ثابت من امر هؤلاء التلاميذ · واول جدول سردهُ الكتبة الكنسيّون لاسمائهم يرتقي الى القرن الخامس يُنسب لكاتب سريانيّ اسمهُ عبديشوع ثمَّ جاء دوروثاوس في القرن السابع ودوّن جدولًا آخر شاع من بعده في بعض التآليف · الّا انّ هذه الروايات كلّها لا سند لها · وقد اثبت حضرة الأب انطون ربّاط في ستّة اعداد من السنة الثالثة من مجلّة الكنيسة الكاثوليكيّة (ص ٤٧١ الخ) ما وجدهُ في هذا الصدد فليُراجع · وكذلك المنسنيور دوشان (Mgr. Duschesne) والعلّامة بمشتارك (Baumstark) كتبا في ذلك مقالات انتقاديّة نشرها الاوّل في مجموعة اعمال المؤتمرات الكاثوليكيّة والثاني في مجلّة الشرق المسيحي (Oriens Christianus) وألّف مؤخّرًا الدكتور شرمان (Th. Schermann) كتابًا واسعًا في هذا الشأن طبعهُ في ليبسيك

ل · ش